التَشرُّفُ بذِكرِ أهلِ

التصوف

إعداد قسم الأبحاث والدّراسات الإسلاميّة
في جمعيّة المشاريع الخيريّة الإسلاميّة

دار المشاريع

التَشرُّف بذِكر أهل التَصَوُّف

مُلتزم الطبع
دَارُ المشَاريع للطبَاعَةِ وَالنّشر وَالتوزيع
الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خطبة الكتاب

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكوّر الليل على النهار، تذكرة لأولي القلوب والأبصار، وتبصرة لذوي الألباب والاعتبار، الذي هدى من خلقه من اصطفاهم فزهَّدهم في هذه الدار، وشغلهم بمراقبته وإدامة التفكر والادّكار، وملازمة الاتعاظ والأذكار، ووفقهم للدأب في طاعته والتأهب لدار القرار، والحذر مما يُسخطه ويُوجب دار البوار، والمحافظة على ذلك مع تغير الأحوال والأطوار.

والصلاة والسلام على محمد النبيّ العربي المختار، الذي اصطفاه ربُّه وجعله إمامًا للمتقين وسيدًا للأبرار، وقدَّمه وفضله على كافة الخلق بالاصطفاء والاختيار، وعلى ءاله وصحابته الطيبين الطاهرين أهل المحبة والأسرار، وعلى من سار خلفهم من الزاهدين والصوفية الأخيار.

أما بعد،

لقد جعل الله هذه الطائفة سادة الأمة، وفضلهم على سائر خلقه بعد أنبيائه ورسله، وجعلهم للناس هداة ورحمة، فكان منهم الأولياء والعلماء والسادة الأئمة، فهم رضي الله عنهم نقطةُ البيكار، ومصابيح الأنوار، ومعدن الأسرار، يتبعون الحق

ويدورون معه حيث دار، فهم الغياث للخلق، المختارون للطريق الحق، حملوا لواء العلم والعمل، وتجنبوا مهالك الجهل والكسل، قاموا بما عليهم من التكليف، وطلبوا المغفرة من التواب اللطيف، ثم رجعوا إليه سبحانه وتعالى بصدق الافتقار، وسلكوا طريق الفقر والانكسار، ومنعوا نفوسهم عن الكبرياء والتشوف، وهذبوها بالكياسة والرياضة والتصوف، فهم إلى الله فقراء، وفي بواطنهم سلاطين أمراء، هجروا المنام، وقللوا من الطعام، واحتملوا الأذى من الأنام، واجتنبوا الذنوب والآثام، وصلّوا بالليل والناس نيام، فهم من خشية الله عيونهم دامعة، وقلوبهم إليه خاشعة، وهم على ذلك يرون ما هم فيه من الفضل فضلاً منه عليهم، قد ساقه الرب الكريم إليهم، فلم يتكلوا على ما حصل لهم من الأعمال، أو صفا لهم من الأحوال، علمًا منهم أنه سبحانه يفعل ما يشاء، ويختار ما يريد، ليس عليه حق لأحد وثوابه فضل عليهم وعذابه للمخالفين عدل منه.

واعلم أيها الأخ الفاضل أن أهل هذه الطائفة الأفاضل قد ذهب أكثرهم ولم يبقَ إلا رسمهم إلا ما ندر من أهل التقوى والسلامة، إذ الحقُّ باقٍ إلى يوم القيامة.

وقد فرّق كثير من جهلة المتصوفة بين الشريعة والحقيقة، وتوهموا أن الحقيقة تخالف الشريعة، وأن الباطن يخالف الظاهر، وهذا خطر محدِق، وجهل مطبق لأن الشريعة كلها حقائق.

ولما كان الأمر كذلك، وكثر التالف والهالك، وزال الورع وطوي بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه، وابتعدت عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، واستخفوا

بأداء الواجبات، واستهانوا بالصيام والصلاة، ومضوا في ميادين الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات، وقلة المبالات بترك العبادات وتعاطي المنكرات، والخوض في المحظورات، ثم لم يكتفوا بما حصل لهم من سوء الأفعال، حتى ادعوا وصولهم للحقائق والأحوال، وأنهم أهلُ الله المتقون، وعباده الواصلون، وأولياؤه العارفون.

وزاد الطغيان في هذا الزمان، حتى نقض بعضهم عرى الإيمان، وروجوا مقالاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان، وغاصوا في مهالك الكفر والارتداد، وخاضوا في عقائد الحلول والاتحاد، وسلكوا طرق الزندقة والإلحاد.

ولما طال البلاء وزادت المحن، وكثرت المصائب وانتشرت الفتن، كان حريًّا بنا في هذه الأمور الدقيقة، وحرصًا منا على بيان الحقيقة، وذلك لإثبات صحة انتماء وصدق اتباع أهل التصوف والطريقة، فكان همنا ومقصدنا إصدار كتابنا هذا للبركة والتشرف، والزيادة في التعرف على مذهب أهل التصوف أسميناه:

التشرف بذكر أهل التصوف

وإننا نسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن نكون من الصوفية الصادقين، على الإيمان ثابتين، وعلى الطاعة مثابرين، وللذنوب مجتنبين، وعلى البلاء صابرين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وسلم.

قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية
في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية

تمهيد

التصوف مرتبة عالية وهو إصلاح القلب بالوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا وباطنًا، فهو مبني على الكتاب والسنة وذلك باتباع شرع الله تعالى والاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأحوال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأفعال، وتسليم الأمور كلها لله من غير إهمال في واجب ولا مقاربة محظور، وحاصله اتصاف بالمحامد وترك للأوصاف الذميمة.

فهو مسلك قائم على العلم والعمل أعلاه علم التوحيد وأداء الواجبات قبل النوافل ثم عمل البر والخير والزهد والتحلي بالأخلاق الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [سورة السجدة] ويقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «**إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**» رواه الطبراني.

وقد اشتهر حديث عند الصوفية وهو حديث حارثة بن مالك أن الرسول عليه السلام لقيه ذات يوم فقال له: «**كيف أصبحتَ يا حارثة**» قال: «أصبحتُ مؤمنًا حقًّا». قال: «**انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة**» قال: «عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرتُ ليلي وأظمأت نهاري، فكأني بعرش ربي بارزًا، وكأني بأهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني بأهل النار يتعاوَوْن فيها» قال: «**عرفت فالزم، عبدٌ نوَّرَ الله الإيمان في قلبه**»، أخرجه الطبراني.

وهذا الحديث متداول بين الصوفية، وإن كان هذا الحديث ضعيف ضعفًا خفيفًا فقد ذُكر في فضائل الأعمال، ويُعمل به كما ذكر السيوطيُ في تدريب الراوي وغيرُه.

فهذا هو مشرب القوم اتباع الرسول ﷺ في حاله وخُلُقه، وكان عليه الصلاة والسلام خُلُقه القرءان، وكان أكثر الناس تواضعًا وزهدًا، وكان أعفّ الناس، مَن صحِبه أحبه لما يشاهده من محاسن أخلاقه ومزيد شفقته وتواضعه وباهر عُظم تألفه وأخذه بالقلوب.

وكان ﷺ يمشي مع المسكين والأرملة إذا أتياه في حاجة ما يفعل ذلك من غير أنفة. وكان يخصِف نعله، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه ولا يعيبه ذلك، ويكون في مهنة أهله، وكان يردف خلفه عبده أو خادمه أو قريبه يفعل ذلك على دابته، وكان يجالس الفقراء والمساكين والعبيد والإماء ويعُودهم ويزورهم، ويتفقد حالهم، ويشهد جنائزهم، وما سئل عليه الصلاة والسلام شيئًا من متاع الدنيا يباح إعطاؤه فقال لا، وكان يجلس في الأكل مع الفقراء والمساكين، وكان لا يعيب طعامًا قط بل إن أحبه أكله وإن كرهه تركه، وكان يلبس من الثياب ما وجده من إزار وقميص وجبة صوف، وربما يلبس الإزار وحده ليس عليه غيره، وربما كان عليه مِرط[١] من صوف أو خز، ففي سنن أبي داود: «خرج علينا رسول الله وعليه مِرط مرحل[٢]

---

(١) مرط: أي كساء.

(٢) مرحل: فيه صور تشبه الرحل، والرحل ما يوضع على البعير للركوب، يقول امرؤ القيس:

خرجت بها أمشي تجرّ وراءنا   على أثرينا ذيل مِرطٍ مرحل

من شعر أسود». وربما صلى بثوب واحدٍ ملتحفًا به بغير زائد عليه، وكان لا يسبل القميص ولا الإزار أي لا يرسلهما إلى الأرض بل يجعل الإزار والقميص فوق كعبيه، بل ربما كان إزاره وقميصه لنصف الساق، يفعل ذلك تواضعًا، وربما نام على العباءة يثنيها ثنيتين، وربما نام على الحصير ويؤثر الحصير في جنبه الشريف، فقد أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو راقدٌ على حصيرٍ من جريدٍ وقد أثر في جنبه، فبكى عمر فقال له: «**ما يبكيك**»؟ قال: ذكرت كسرى وملكه، وهرمز وملكه، وصاحب الحبشة وملكه، وأنت رسول الله صلى الله عليك وسلم على حصير من جريد، فقال رسول الله ﷺ: «**أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة**». فهذا رسول الله ﷺ الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، والوارد عنه عليه الصلاة السلام في ذلك كثيرٌ. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وقال: «**ما لي وللدنيا، وما للدنيا ومالي، ما أنا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة، ثم راح وتركها**». فعلى هذا كان سيدنا وقدوتنا رسول الله ﷺ.

ومِثلُه ورد عن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام. فقد ورد عن نبي الله عيسى عليه السلام فيما رواه الحسن البصري قال: «كان عيسى عليه السلام يلبس الشعر[1]، ويأكل الشجر، ويبيت حيث أمسى». وكان سيدنا عيسى عليه السلام يبيت حيث أمسى في

---

(١) الشعر: الصوف.

مسجد أو غير مسجد ما اتخذ بيتًا، وكان يأكل ما يُتقوت به من بُقول الأرض كالمُلوخية والهندباء والخبيزة نيئة من غير طبيخ. هكذا أنبياء الله عليهم السلام زهادٌ عبادٌ عارفون طالبون للآخرة، وكذلك نبي الله سليمان عليه السلام مع ما أعطاه الله تعالى من السلطان والجاه وخدمة الجن له كان يأكل خبز الشعير.

على هذا كان أنبياء الله عليهم السلام وعلى هذا كان نبينا محمد ﷺ، وهو الذي أدّب المتقين، وعلّم الزاهدين، ووطد الدين، ونُصر بالرعب مسيرةَ شهر، وضجت الأكوان باسمه، ورجفت فرائص ملوك الأرض لذكره في كل زمان ومكان، وقد مات عليه الصلاة والسلام ولم يشبع من خبز الشعير، مع أنه أعطى ما بين لابتيها[1] غنمًا، وملأ رداء عمه العباس ذهبًا، وأعطى عطاءَ من لا يخشى الفقر، فالله أكرم أنبياءه، واصطفاهم لمقام النبوة، وخصهم بما لم يخصَّ به أحدًا من البشر، وأغناهم عن الناس، فسلَّموا لله تسليمًا كاملاً، واستغنوا بالله، وأيقنوا أنه المالك الكريم الرازق الخالق المدبر لمخلوقاته في كل حين، فأنفقوا ولم يقتروا، وأيقنوا أن كلاًّ من عنده، وبهذا أمر النبي ﷺ أصحابه أوَليس قال عليه الصلاة والسلام لبلال: «**أنفق بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالا**» رواه الطبراني وأبو نعيم.

وتبع أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا المشرب، وردّ أهل الردة على أعقابهم، ونام على قطيفة لم يكن عنده في البيت سواها، ثم أمر بها فأعيدت إلى بيت المال. وكذلك الفاروق عمر

---

(١) لابتيها: واللابة هي الحرة، والحرة أرض فيها حجارة سود وللمدينة المنورة لابتان وهي حدود الحرم.

رضي الله عنه فتح الأقطار، ومصّر الأمصار، وعزّ به الدين واستنار، وخطب عام وفاته وعليه ثوب فيه أربعون رقعة.

وهذا ذو النورين عثمانُ رضي الله عنه فقد روي أنه رؤي يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة وأثر الحصى في جنبه، وكذلك أبو الحسنين علي الأكرم عليه السلام وهو الذي رآه رسول الله ﷺ نائمًا على التراب مرةً فسماه أبا تراب، وكان كرم الله وجهه يلبس إزارًا مرفوعًا ويقول: «يُخشّع القلب، ويقتدي به المؤمن».

وتبعهم على ذلك أهل الولاية والإرشاد من التابعين الأمجاد، فكان لهم من نورهم قبس، ومن حال نبيهم ﷺ نفس، ودلوا المسلمين على المنهج القويم، والصراط المستقيم، وعلى مشرب نبيهم وجليل حاله، وغيرهم كثير ولو أردنا ذكرهم لطال.

وقد قال الحسن البصري: أدركت سبعين بدريًّا ما كان لباسُهم إلا الصوف.

وكلهم من رسول الله ملتمِسُ غرفًا من البحر أو رشْفًا من الدِيَم

يقول العارف بالله الزاهد العلامة الشيخ عبدُ الله الهرريُّ ناصحًا مريديه: «إياكم والغفلة بالتنعم وتعلق الهمم بتكثير الأموال»، والتنعم هو التوسع في الملذات من المطعومات والمشروبات ومن الملبس الفاخر، وتركُ التنعم هو سنة الأنبياء.

واعلم أن معنى التصوف الحقيقي كان في الصدر الأول من عصر الصحابة، فالخلفاء الأربعة كانوا صوفيين معنًى، واعلم أن صاحب كتاب حِلية الأولياء الحافظ أبا نعيم أحدَ مشاهير

المحدثين بدأ كتابه الحلية بصوفية الصحابة، ثم أتبعهم بصوفية التابعين، وهكذا. فإذا رمت معرفة القوم والتيقن من صدق حالهم وصفاء مشربهم، فهاك ما ذكرناه لك، فتأمل.

التصوف والصوفية

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [سورة النازعات]، وقال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ العبادِ إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا شهدوا لم يُعرفوا، أولئك هم أئمة الهدى ومصابيح العلم**» رواه أبو نعيم.

اعلم أن اسم الصوفي لم يكن في الصدر الأول، لكن المعنى كان موجودًا، فقد ثبت عن سيدنا عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «اخشوشنوا وتمعددوا» ومعنى «اخشوشِنوا»، أي الزموا خشونة العيش أي لا تتنعموا، وأما قوله «تمعددوا» فهو التشبه بمعد بنِ عدنان أحد أجداد الرسول ﷺ الذين كانوا على الإسلام، وكان ذا شهامة وملازمة لخشونة العيش.

يقول الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية عن التصوف: «الخروج عن كل خُلُق دني، والدخول في كل خُلق سني».

ويقول الإمام القشيري في وصف الطائفة الصوفية: «فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه».

وعن أبي الحسن الفرغاني قال: سألت أبا بكر الشبلي ما علامة العارف؟ فقال: صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح، قلت: هذه علامة العارف، فمن العارف؟ قال: العارف الذي عرف الله عز وجل، وعرف مراد الله عز وجل على ما ورد في كتاب الله، وعمل بما أمر الله، وأعرض عما نهى الله، ودعا

عباد الله إلى الله عز وجل. فقلت: هذا العارف، فمن الصوفي؟ فقال: من صفا قلبه فصفى، وسلك طريق المصطفى ﷺ، ورمى الدنيا خلف القفا، وأذاق الهوى طعم الجفا. قلت له: هذا الصوفي، ما التصوف، قال: تصفية القلوب لعلام الغيوب. قلت له: أحسن من هذا ما التصوف؟ قال تعظيم أمر الله، والشفقة على عباد الله. فقلت له: أحسن من هذا من الصوفي؟ قال: من جفا عن الكدر، وخلص من العكر، وامتلأ من الفكر، وتساوى عنده الذهب والمدر (أي التراب).

وقيل: التصوف الجد في السلوك إلى ملك الملوك.

وقال الحافظ أبو نعيم: «التصوف أحوال قاهرة، وأخلاق طاهرة تقهرهم الأحوال فتأسرهم، ويستعملون الأخلاق فتطهرهم، تحلوا بخالص الخدمة، فكفوا عن طوارق الحيرة، وعصموا عن الانقطاع والفترة، لا يأنسون إلا بالله، ولا يستريحون إلا بحبه، فهم أرباب القلوب المراقبون للمحبوب، والتاركون للمسلوب، سلكوا مسلك الصحابة والتابعين ومن نحى نحوهم من المتقشفين والمتحققين، والمميزين بين الإخلاص والرياء، والعارفين بالخطرة والهمة والعزيمة والنية، والمحاسبين للضمائر، والمحافظين للسرائر، المخالفين للنفوس، والمحاذرين من الخنوس[1] بدائم التفكر، وقائم التذكر، طلبًا للتداني، وهربًا من التواني، لا يستهين بحرمتهم إلا مارق، ولا

(١) الخنوس: التأخر.

يدعي أحوالهم إلا مائق، ولا يعتقد عقيدتهم إلا فائق، ولا يحسن إلى موالاتهم إلا تائق، فهم سرج الآفاق، والممدود إلى رؤيتهم بالأعناق، بهم نقتدي، وإياهم نوالي إلى يوم التلاق».

وقال معروف الكرخي: «التصوف هو الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق».

وقال الشيخ زكريا الأنصاري: «التصوف عِلم تُعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية».

وقيل: «التصوف الموافقة للحق، والمفارقة للخلق».

وقال سيد الطائفة الإمام الجنيد البغدادي: «التصوف صفاء المعاملة».

وقيل: «التصوف الانكباب على العمل تطرقًا إلى بلوغ الأمل».

وقال أبو بكر الطمستاني: «الطريق واضح، والكتاب والسنة قائمان بين أظهرنا، فمن صحب منا الكتاب والسنة، وتغرّب عن نفسه والخلق، وهاجر بقلبه إلى الله تعالى، فهو الصادق المصيب».

وقيل: «التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واتباع الرسول في الشريعة النقية».

وقيل: «التصوف الأخذ بالأصول، والترك للفضول، والتشمير للوصول».

وسئل الجنيد بن محمد البغدادي رحمه الله عن التصوف فقال: «اسم جامع لعشرة معانٍ، الأول: التقلل من كل شيء من الدنيا عن التكاثر فيها، والثاني: اعتماد القلب على الله عز وجل من السكون إلى الأسباب، والثالث: الرغبة في الطاعات من التطوع في وجود العوافي، والرابع: الصبر على فقد الدنيا عن الخروج إلى المسألة والشكوى، والخامس: التمييز في الأخذ عند وجود الشيء، والسادس: الشغل بالله عز وجل عن سائر الأشياء، والسابع: الذكر الخفي عن جميع الأذكار، والثامن: تحقيق الإخلاص في دخول الوسوسة، والتاسع: اليقين في دخول الشك، والعاشر: السكون إلى الله عز وجل من الاضطراب والوحشة، فإذا استجمع هذه الخصال استحق بها الاسم وإلا فهو كاذب».

ويقول رويم بن أحمد: «التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار».

وقيل: «التصوف المنافسة في نفائس الأخلاق، وفض النفس عن أنفس الأعلاق».

وسئل أبو همام عبد الرحمٰن بن مجيب الصوفي عن الصوفي فقال: «فالصوفي لنفسه ذابح، ولهواه فاضح، ولعدوه جارح، وللخلق ناصح، دائم الوجل، يحكم العمل، ويبعد الأمل، ويسد الخلل، عَذَرُهُ بضاعة، (أي يتهم نفسه أنه من أهل التقصير) وحزنه صناعة، وعيشه قناعة، بالحق عارف، وعلى الباب عاكف، وعن الكل عازف».

وقيل: «التصوف ابتغاء الوسيلة، إلى منتهى الفضيلة».

وسُئل ذو النون المصري عن الصوفي فقال: «من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق».

وقال بعضهم في وصفهم: «لهم الأحوال الشريفة، والأخلاق اللطيفة، مقامهم منيف، وسؤالهم ظريف، هم المنبسطون جهرًا، المنقبضون سرًا، يبسطهم رَوْحُ الارتياح والاشتياق، ويقلقهم خوف القطيعة والفراق، والحاكمون بالعدل، هم مصابيح الدجى وينابيع الرشد والحِجى، خُصوا بخفيّ الاختصاص، ونقوا من التصنع بالإخلاص، هم الشغِفون به وبوده، والمكلفون بخطابه وعهده، هم المصونون عن مرافقة حقارة الدنيا بعين الاغترار، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار، إنهم سُباق الأمم والقرون، وبإخلاصهم يمطرون وينصرون، وإن ليقينهم تنفلق الصخور، وبيمينهم تتفتق البحور، إنهم المضرورون في الأطعمة واللباس، المبرورة أقسامهم عند النازلة والباس، نظروا إلى باطن العاجلة فرفضوها، وإلى بهجتها وزينتها فوضعوها».

وقيل: «التصوف: قطع العلائق والأخذ بالوثائق».

فالصوفي من كان عاملاً بشريعة الله تبارك وتعالى وخالف هواه، من لا يتبع نفسه الهوى في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك، بل يقتصر على القدر الذي يحفظ صحة جسده من المأكل والمشرب والملبس، مع بذل الجهد في عبادة الله تبارك وتعالى في أداء الفرائض، والإكثار من النوافل.

وأنشدوا: (الخفيف)

عمدة الدين عندنا كلماتٌ أربعٌ قالهنَّ خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملنَّ بنية

يقول الجنيد: «طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة، إذ الطريق إلى الله مسدود إلا على المقتفين ءاثار رسول الله ﷺ».

ويقول سهل التستري: «أصول مذهبنا (يعني الصوفية) ثلاثة: اقتداء بالنبي في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأفعال».

وفي هذا بيان أن التصوف الحقيقي ليس فقط لبس الصوف دون اتباع للشرع الشريف بل الصوفي الحقيقي هو الذي يتبع الحق ويؤدي حقوق الله عليه، وفي ذلك أنشدوا: (البسيط)

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدرٍ وتتبع الحق والإسلام والدينا

وكان سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه إذا رأى على فقير جبة صوف يقول له: «يا ولدي انظر بزي من تزييت، وإلى من انتسبت، قد لبست لبسة الأنبياء وتحليت بحلية الأتقياء، هذا زي العارفين فاسلك فيه مسالك المقربين وإلا فانزعه».

ويروى عن السري السقطي أنه قال: «المتصوف اسم لثلاث معانٍ: هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه الكتاب أو السنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله».

ويقول الإمام الرفاعي: «الصوفي هو الفقيه العامل بعلمه، وعلى هذا قالوا ما اشتهر في وصفهم: الصوفي من لبس الصوف على الصفا، وسلك طريق المصطفى، وأذاق النفس طعم الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا».

وقال الجنيد: «ما أخذنا التصوف بالقال والقيل ولكن أخذناه بالجوع والسهر وترك المألوفات والمستحسنات».

فالتصوف حاصله اتصاف بالمحامد، وترك الأوصاف المذمومة مع الزهد في المأكل والملبس وقبل ذلك كله الاقتداء بالنبي ﷺ بأداء الفرائض واجتناب المحرمات. فالصوفية موصوفون بأنهم تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان[1]، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعرَوا الأجساد، وإنما ينالون من الطعام قدر ما يقيم الصلب للضرورة، كما قال النبي ﷺ: «**بحسب ابن ءادم أكلات يُقمن صلبه**» رواه الترمذي.

وأنشدوا: (الطويل)

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسنٍ إذًا لم يكن فيها معيشٌ لظالم
لقد جاع فيها الأولياء كرامةً وقد شبعت فيها بطون البهائم

ويقول الكلاباذي: «وعلى هذا سماهم قومٌ جوعية لأن الجوع من صفات القوم وهو من أهم أمور المجاهدة، ومخالفة النفس وغلبتها، فإن أرباب السلوك قد تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك

---

(١) جمع خدن وهو الصديق المقرب المؤتمن على الأسرار.

عن الأكل إلا عند الضرورة وخشية الضرر، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، لأن الشبع يحرك شهوات الإنسان ويستثيرها، والجوع يحرك الإنسان إلى الطاعة. وكثرت الحكايات عنهم في ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ [سورة البقرة]. فبشرهم بجميل الثواب في الصبر على مقاساة الجوع».

قال يحيى بن معاذ: «لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره».

وقال أبو سليمان الداراني: «جوع قليل وسهر قليل يقطع عنك الدنيا».

واعلم أن هذا كله لمن لا يخشى على نفسه الضرر والهلاك فالمطلوب أن يأكل القدر الضروري الذي ينجيه من أن يضر نفسه ويهلكها.

وقال بشر بن الحارث: «الصوفي من صفا قلبه».

وقال رجل لسهل بن عبد الله التستري: «من أصحب من طوائف الناس فقال: «عليك بالصوفية، فإنهم لا يستكبرون، ولا يستكثرون».

وأما تسميتهم بالصوفية فقالت طائفة: «إنما سموا صوفية لصفاء أسرارهم، ونقاء ءاثارهم».

وقال ءاخرون: «إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف

أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، فمن باطنهم الموصوف بالصفاء، ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية، لأنهم لم يلبسوا لحظوظ النفس ما لان مسه وحسن منظره، وإنما لبسوا لستر العورة، فاكتفَوا بالخشن من الشعر والغليظ من الصوف».

ثم هذه كلها صفة أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ فإنهم كانوا غرباء فقراء مهاجرين، أخرجوا من ديارهم وأموالهم ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عُبيد فقالا: «يَخِرُّون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين»، وكان لباسهم الصوف فلما كانت هذه صفة أهل الصفة في حالهم وزيهم سموا صوفية وصُفية، وسماهم قوم فقراء، لأن أحدهم لا يملك شيئًا وإن ملكه بذله وذلك لتخليهم من الأملاك.

وقال السهروردي: «بعد عهد رسول الله ﷺ وبعد عهد الصحابة من أخذ منهم العلم سمي تابعيًا، ثم لما تقادم زمان الرسالة وبَعُدَ عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي، اختلفت الآراء وتنوعت الأنحاء وتفرد كل ذي رأى برأيه وكدّر شرب العلوم شوب الأهوية، وتزعزعت أبنية المتقين، واضطربت عزائم الزاهدين، وغلبت الجهالات وكثف حجابها، وكثرت العادات، وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها، تفردت طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية، وصدق في العزيمة وقوة في الدين، وزهدوا في الدنيا ومحبتها، واغتنموا العزلة والوحدة، واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبتلين إلى رب الأرباب، فأثمر لهم صالح

الأعمال سنيَّ الأحوال، وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم، وصار لهم بعد اللسان لسان، وبعد العرفان عرفان. . . فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات يتعاهدونها، فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معانٍ يعرفونها، وتُعرِبُ عن أحوال يجدونها، فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسمًا مستمرًا، وخبرًا مستقرًا في كل عصر وزمان، فظهر هذا الاسم بينهم وتسمَّوا به وسُمُّوا به».

ويقول الإمام الرفاعي الكبير رضي الله عنه: قيل لهذه الطائفة الصوفية، واختلف الناس في سبب التسمية وسببها غريب لا يعرفه كثير من الفقراء، وهو أن جماعة من مضر يقال لهم بنو الصوفة وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة الربيط كانت أمه لا يعيش لها ولد، فنذرت إن عاش لها ولد لتربطن برأسه صوفة وتجعله ربيط الكعبة، وكانوا يجيزون الحاج، إلى أن منَّ الله بظهور الإسلام فأسلموا وكانوا عبَّادًا، ونقل عن بعضهم حديث رسول الله ﷺ فمن صحبهم سميّ بالصوفي وكذلك من صحب من صحبهم، أو تعبد ولبس الصوف مثلهم ينسبونه إليهم فيقال: صوفي، ونوّع الفقراء الأسباب فمنهم من قال التصوف الصفاء، ومنهم من قال المصافاة، وغير ذلك، وكله صحيح من حيث معناه. ا. هـ.

ويقول السهروردي في تسميتهم صوفية للبسهم الصوف: «وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لأنه يقال: «تصوّف» إذا لبس الصوف وقال: ولما كان حالهم بين سير

وطير لتقلبهم في الأحوال وارتقائهم من عالٍ إلى أعلى منه.. وأبواب المزيد علمًا عليهم مفتوحة وبواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم، فلما تعذر تقيدهم بحال تقيدهم، لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم، نسبوا إلى ظاهر اللبسة، وكان ذلك أبين في الإشارة إليهم، وأدعى إلى حصر وصفهم، لأن الصوف كان غالبًا على المتقدمين من سلفهم، وأيضًا لأن حالهم حال المقربين ولما كان الاعتزاء إلى القرب امر صعب يعزّ كشفه والإشارة إليه، وقعت الإشارة إلى زيهم سترًا لحالهم، وغيرة على عزيز مقامهم، أن تكثر الإشارة إليه وتتداوله الألسنة، فكان هذا أقرب إلى الأدب، والأدب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أهل الصوفية».

وفيه معنى ءاخر: «وهو أن نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن تقللهم من الدنيا، وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس الناعم، حتى إن المبتدئ المريد الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم، يوطن نفسه على التقشف والتقلل، ويعلم أن المأكول أيضًا من جنس الملبوس، فيدخل في طريقهم على بصيرة، والإشارة إلى شىء من حالهم في تسميتهم أولى».

وقيل: «إنهم لما ءاثروا الذبول والخمول والتواضع والإنكسار والتخفي والتواري كانوا كالخرقة الملقاة والصدفة المرمية التي لا يُرغب فيها ولا يلتفت إليها، فيقال صوفي نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفي نسبة إلى الكوفة، وهذا ما ذكره بعض أهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق، ولم يزل لبس

الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد» انتهى كلام السهروردي.

وعلى هذا فإن طرق الصوفية طرق سنية، موافقة للشريعة المحمدية، وفي ذلك يقول الإمام الشعراني في كتاب لواقح الأنوار القدسية: «إياك أن تقول إن طرق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة فإنها أخلاق محمدية».

فهاك ما ذكرناه عن أعيانهم وساداتهم ما يُظهر لك حقيقة أمرهم، ظاهره وباطنه مما يقوي عندك اليقين أنهم صفوة القوم، وما ذاك إلا باقتدائهم بالنبي ﷺ.

التصوف علم وعمل

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة فاطر] وقال رسول الله ﷺ: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**» الحديث رواه مسلم.

اعلم أرشدك الله أن مذهب القوم وطريقهم، هو طريق أهل السنة والجماعة، فقد صحت عقيدتهم وصح اتباعهم، غرضهم الالتزام بما كان عليه رسول الله ﷺ والسلف الصالح، مع الإكثار من النوافل، والخروج عن الدنيا والملذات، ويدل على حسن اتباعهم وصدق يقينهم وصحة معتقدهم، أنهم رفعوا لواء العلم، فكان منهم العلماء والقراء والمحدثون، وما ينقل عنهم من عبارات خالصة في التوحيد والتنزيه دالٌ على حسن اتباعهم وصدق انتمائهم وما سنذكره لك في سياق كلامنا عن علومهم واقتدائهم بسنة سيد المرسلين ﷺ.

قال القوم: «تعلموا علم عقيدة أهل السنة والجماعة، والطهارة والصلاة الصوم والحج والزكاة، والعقود من البيوع والحلال والحرام، والمكروه والواجب والمندوب، والمباح والصحيح والباطل».

واعلم أن العلم يورث الخوف من الله، وطول الصمت، وكثرة التفكر والإعتبار، وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالبًا عليهم، والدعاوى بعيدة عنهم، قالت عائشة: «ليتني كنت نسيًا منسيًا»، وإنما صدر هذا عن مثل هؤلاء السادة لقوة علمهم

بالله، وقوة العلم به تورث الخوف والخشية، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة فاطر] أي العلماء الأتقياء يخشون الله يخافونه أكثر من غيرهم وقال عليه الصلاة والسلام: «**أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له**»[1] فقدم ﷺ العلم بالله على الخشية منه.

قال سهل بن عبد الله التستري: «علامة حب الله حب القرءان، وعلامة حب الله وحب القرءان حب النبيّ، وعلامة حبه حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، والمقصود بالسنة هنا الشريعة وهي العقيدة والأحكام التي جاء بها الرسول ﷺ.

وأنشدوا: (الطويل)

فما لك يوم الحشر شيءٌ سوى الذي تزودته قبل الممات إلى الحشر
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا ندمت على التفريط في زمن البذر

ويقول السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه: «الطريق واضح صلاة وصوم وحج وزكاة، فالتوحيد والشهادة برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام أول الأركان واجتناب المحرمات هذا هو الطريق».

وأنشد بعضهم: (الطويل)

لكل بني الدنيا مرادٌ ومقصدٌ وإن مرادي صحةٌ وفراغ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغًا يكون به لي في الجنان بلاغ

(١) بوب البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ «أنا أعلمكم بالله».

ويقول الفضيل بن عياض: «اتبع طرق الهدى ولا تغتر بقلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين».

ويقول الجنيد: «من لم يحفظ القرءان ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بأصول السنة».

واعلم أن كثيرًا من المتصوفة الجاهلين قد فرقوا بين الشريعة والطريقة وبين الشريعة والحقيقة، وتوهموا أن الحقيقة تخالف الشريعة وأن الباطن يخالف الظاهر وهذا خطر محدق وجهل مطبق، لأن الشريعة كلها حقائق، وقد أنكر السادة الصوفية الحقيقيون الإعراض عن ظواهر الشرع، وقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «كل باطن خالف الظاهر فهو مردود»، وقال أيضًا: «شيدوا أركان هذه الطريقة المحمدية بإحياء السنة وإماتة البدعة». فكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرورٌ مخدوع.

ولا عبرة ولا اعتبار بقول من قال: دع علم الورق وخذ علم الخرق، بل قل كما قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه لما رؤي وهو يحمل المحبرة على كِبَر سنه فقال له رجل: إلى متى يا أبا عبد الله فقال: «المحبرة إلى المقبرة».

وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول: «هذه سرج الإسلام».

وأنشد سيدي الرواس فقال في القصيدة القدسية: (الطويل)

تمسك بذي علمٍ منيرٍ على هدى فأهل علوم كالنجوم الزواهر
وإن أخا علمٍ به الزيغ كامنٌ أضرّ على الإسلام من ألف كافر

هذا شأنهم وهذا مشربهم علم وعمل واتباع للسنة واقتداء واتباع لسيد الأنبياء.

وإليك ما يقول العالم العلم البحر الحبر السيد الشريف الشيخ أحمد الرفاعي الكبير في تعظيم العلم والعلماء: «أي سادة عظموا شأن الفقهاء والعلماء كتعظيمكم شأن الأولياء والعرفاء، فإن الطريق واحد، وهؤلاء ورّاث ظاهر الشريعة ومحلة أحكامها الذين يعلمونها الناس وبها يصل الواصلون إلى الله، إذ لا فائدة بالسعي والعمل على الطريق المغاير للشرع، ولو عَبَدَ الله العابدُ خمسمائة عام بطريقة غير شرعية فعبادته راجعة إليه، ووزره عليه، ولا يقيم الله له يوم القيامة وزنا، فإياكم وإهمال حقوق العلماء وعليكم بحسن الظن فيهم جميعًا ـ أي بالعلماء العُلماء ـ، وأما أهل التقوى منهم العاملون بما علمهم الله فهم الأولياء على الحقيقة فلتكن حرمتهم عندكم محفوظة».

ويقول أيضًا: «العلماء سادات الناس وأشراف الخلق والدالون على طريق الحق، لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة نحن أهل الباطن وهم أهل الظاهر، فإنه لولا الظاهر لما بطن، ولولا الظاهر لما كان الباطن ولما صح، القلب لا يقوم بلا جسد، بل لولا الجسد لفسد».

ويقول الصوفي سهل بن عبد الله التستري: «الدنيا كلها جهل إلا ما كان علمًا وعملًا، والعمل كله موقوف إلا ما كان على الكتاب والسنة وتقوم السنة على التقوى».

وقال أيضًا: «احفظوا السواد على البياض (أي كتابة العلم) فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق».

وأنشد بعضهم: (الطويل)

رضيت من الدنيا بقوت يقيمني ولا أبتغي من بعده أبدًا فضلاً
فما هذه الدنيا بطيب نعيمها لأيسر ما في العلم من لذةٍ عدلا

وقال بعضهم: «ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت في الظلام».

وقال أبو سعيد الخراز: «كل باطن خالف الظاهر فهو باطل».

وسئل الإمام أحمد بن حنبل فى قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**» رواه الخطيب البغدادي في شرح أصحاب الحديث، فقال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم».

وقال الصوفي عبد الله بن خفيف الشيرازي: «اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية». أي جهلة المتصوفة.

ويقول سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «أي حالة باطنة لقوم لم يأمر ظاهر الشرع بعملها، وأي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لهما لا تعملوا بالفرق والتفريق بين الظاهر والباطن فإن ذلك زيغ وبدعة».

وعنه أيضًا: «لا تهملوا حقوق العلم والفقهاء، أي سادة تقولون قال الحارث قال أبو يزيد ما هذا الحال قبل هذه الكلمات، قولوا قال الشافعي قال مالك قال أحمد قال نعمان.

قال الحارث وأبو يزيد لا ينقص ولا يزيد، قال الشافعي وقال مالك أنجح الطرق وأقرب المسالك».

وقال السيد الرفاعي أيضًا: «شيدوا دعائم الشريعة بالعلم والعمل، وبعدها ارفعوا الهمة للغوامض من أحكام العلم وأحكام العمل. أشياخ الطريقة وفرسان ميادين الحقيقة يقولون لكم خذوا بأذيال العلماء تفقهوا».

وكتب الشيخ الغجدواني (وهو واضع أصول الطريقة النقشبندية) إلى أحد تلاميذه: «يا بني أوصيك بتحصيل العلم والأدب وتقوى الله تعالى، واتبع ءاثار السلف الصالح ولازم السنة والجماعة، واقرأ الفقه والحديث والتفسير، واجتنب الصوفية الجاهلين - أي مدعي التصوف -، ولازم صلاة الجماعة، وإياك والشهرة فإنها ءافة وكن واحدًا من الناس».

ويقول الصالح أحمد بن الحواري: «كل عمل بغير اتباع السنة باطل».

ويقول الإمام الجنيد رحمه الله: «ما يصل أحد إلى الله إلا بالله والسبيل إلى الوصول متابعة المصطفى».

ويقول السيد الرفاعي الكبير رضي الله عنه: «الصوفي تدل ءادابه على مقامه، زنوا أقواله وأفعاله وأخلاقه بميزان الشرع».

وقال الإمام علي رضي الله عنه: «لا يعرف الحق بالرجال وإنما الرجال يعرفون بالحق».

وقال الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «لا تعجب للمرء طار في الهواء أو سار على وجه الماء، ولكن اعرض كلامه على الشرع، فإن وافقه فخذ به وإلا اضرب به عُرض الحائط».

فهذا الكلام الذي سبق يدل على أن من ادعى من جهلة المتصوفة أن الأولياء والخواص لا حاجة لهم إلى علم الدين ولا إلى النصوص الشرعية، بل يكفيهم الإلهام والفيوضات كلام مردود، قائله ليس صوفيًا ولا يعرف طريقهم، لأن كلامه يخالف نصوص السادة الصوفية.

وقد ذكر الشيخ الفقيه يوسف الأردبيلي في كتابه «الأنوار لأعمال الأبرار» ما نصه: «ولو قال: الله يلهمني ما أحتاج إليه من أمر الدين فلا أحتاج إلى العلم والعلماء فمبتدع كذاب يلعب به الشيطان» اهـ.

أما ما ذهب إليه بعض مدعي التصوف الذين رفعوا للجهل لواء، ولبسوا للشيطان رداء، في معرض تحريضهم الناس على ترك تعلم علم الدين، وإيهام أتباعهم أن الوصول إلى الولاية والمقامات العالية يحصل لهم من غير تعلم علم الدين الذي أوجبه الله تعالى على المكلفين مستدلين بزعمهم بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴿٢٨٢﴾﴾ [سورة البقرة]. فيقال لهم: إن هذه الآية ليس معناها ما ذهبتم إليه لأن قوله تعالى، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ ﴿٢٨٢﴾﴾ دلالة على لزوم أداء الواجب، لأن التقوى لا تحصل بترك الواجب، وطلب علم الدين الضروري واجب، فكيف يكون من ترك هذا العلم الضروري تقيًا، ألم يقل النبي ﷺ في

بيان فرضية علم الدين: «**طلب العلم فريضة على كل مسلمٍ**» رواه البيهقي.

والمعلوم أن التقي هو الذي أدى جميع ما افترضه الله عليه واجتنب جميع ما حرمه الله عليه، فمن ترك هذا العلم الضروري الذي فرضه الله على المكلف لا يكون مندرجًا تحت قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴿٢٨٢﴾﴾ لأن الوارد في الآية ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴿٢٨٢﴾﴾ معناه اتقوا الله بأداء الواجبات واجتناب المحرمات، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴿٢٨٢﴾﴾ يعني بعد أن تتموا ما أورده الله في أول الآية من أمر التقوى يفيض الله على قلوب بعض الصالحين منكم علمًا لدنيًا أي علمًا غير مكتسب لا يؤخذ من الكتب ولا من ألسنة المشايخ، إنما هو إفاضة من الله عز وجل على قلب من شاء من عباده الأتقياء، وهذا العلم اللدني لا يكون من أبواب علوم العقيدة الضرورية ولا من علوم الطهارة والصلاة والصيام الضرورية للمكلف، والعلم اللدني كما قال العلماء هو كعلم تفسير المنام. وأما ما ذهب إليه هؤلاء الجهال واستساغوه وعلموه لأتباعهم فهو مخالف لتعاليم الإسلام، ومخالف لما نص عليه رسول الله ﷺ وهو أعلم الناس بالقرءان وتفسيره وقد رُوي عنه عليه الصلاة والسلام: «**من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم**» رواه أبو نعيم في الحلية.

والقاعدة أنه لا يصير العبد وليًا وهو جاهل، فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «ما اتخذ الله وليًا جاهلاً».

واعلم أن مشايخ القوم هم علماء عاملون فقهاء مشهورون نذكر

بعض علمائهم لا على سبيل الحصر إنما على سبيل المثال منهم:

الحافظ الأصبهاني، والمحدث والمؤرخ الروذباري، والغزالي، والقاضي بكار بن قتيبة، والقاضي رويم البغدادي، وأبو القاسم القشيري، والفقيه ابن خفيف الشيرازي، والحافظ أبو الفضل المقدسي، والعز بن عبد السلام المالكي، والحافظ ابن الصلاح، والحافظ النووي، والإمام تقي الدين السبكي، والفقيه تاج الدين السبكي، والمفسر النحوي أبو حيان الأندلسي، والحافظ قطب الدين القسطلاني، والحافظ السيوطي، وأبو الحسين محمد النوري، وأبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، وأبو العباس أحمد ابن عطاء البغدادي، وأبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي، وأبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسي، وأبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أيوب النهرجوري، وأبو محمد الحسن بن محمد الجريري، وأبو عبد الله محمد بن علي الكناني، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص، وأبو بكر محمد بن موسى الواسطي، وأبو بكر الشبلي وغيرهم.

فلا يغرنك أيها المحب ما تعرض له بعض الأسلاف وتشبث به من أولي الجهل بعض الأخلاف، من الكلام على طرق الصوفية ورجالها، أرباب أشرف المزايا السنية، فحطوا على التصوف وساداته كالحسن البصري والجنيد والسري والكرخي والإمام الرفاعي والجيلاني والدسوقي والبدوي وأبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهم وأمثالهم فإنهم سادة الطريق، واعلم أنه لم يثبت عنهم مخالفة السنة، وإن ما ينقل عنهم مما يخالف

الشرع فهو محض افتراء، فالطعن فيهم غير محقق، وكيف يكون وقد شهروا بخلافه، فإن عاداتهم ومجالسهم وأورادهم ومشاربهم الشريفة واضحة ظاهرة، والحق يُعرف به أهله.

اعتقاد الصوفية اعتقاد أهل السنة والجماعة

قد قام أناس في هذا العصر بترويج الأكاذيب الملفقة بأن طرق الصوفية ليست من الإسلام فى شىء، بل هي أثر عقائد الفلسفة اليونانية والهندية، وقولهم هذا يكفر أكثر الأمة الإسلامية التي تتبع طريق القوم، ولا تجتمع أمة الإسلام على الضلال، وقد انبرى للدفاع عن هذه الطائفة الكريمة الكثير من الأكابر وذلك في بيان أنهم على منهج الإسلام بل هم علماء الإسلام، والمتتبع لعلومهم في العقيدة يعلم أنهم على منهج النبي ﷺ لم يخالفوا ولم ينحرفوا، لا في العقيدة ولا في الأحكام، ولا في الأعمال ولا في الآداب النبوية الشريفة، وإليك ما جمعناه لك من دروسهم وأقوالهم في العقيدة الإسلامية من أقطابهم ومشايخهم وأشرافهم مما يبين لك صحة انتمائهم وصدق اتباعهم وبيان عقيدتهم.

يقول الشيخ أبو بكر الكلاباذي في بيان عقيدة أهل التصوف بعد كلام له: «وذلك بعد إحكام علم التوحيد والمعرفة على طريق الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح عليه القدر الذي يتيقن بصحة ما عليه أهل السنة والجماعة، فإن وُفق في نفي شبه التشبيه التي تعترضه من خاطر أو ناظر فذاك. واعلم أن الصوفية أجمعوا على أن الله واحد، فردٌ صمد، قديمٌ عالم، قادرٌ حي، سميعٌ بصير، عزيزٌ عظيم، جوَادٌ رؤوف، متكبرٌ جبار، باقٍ أول، إلهٌ مالكٌ ربٌّ، رحمٰنٌ رحيم، مريدٌ حكيم، متكلمٌ خالقٌ رازق، موصوف بكل كمال يليق به، منزه عن كل نقص في حقه، لم يزل قديمًا بأسمائه وصفاته، غير مشابه للخلق بوجه

من الوجوه، لا يشبه ذاته الذوات، ولا صفاته الصفات، لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدالة على حدوثهم، موجودًا قبل كل شيء، لا قديم غيره، ولا إلـٰه سواه، ليس بجسم ولا شبح، ولا صورة ولا شخص، ولا جوهر ولا عرض، لا اجتماع له ولا افتراق، لا يتحرك ولا يسكن، ولا ينقص ولا يزيد، ليس بذي أبعاض ولا أجزاء، ولا جوارح ولا أعضاء، ولا بذي جهات ولا أماكن، لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السنات، ولا تداوله الأوقات ولا تعينه الإشارات، ولا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة، ولا الحلول في الأماكن، ولا تحيط به الأفكار ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الأبصار، وأجمعوا أن لله صفات على الحقيقة، هو بها موصوف من العلم والقدرة والقدم والحياة والإرادة والمشيئة والكلام، وأنها ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر، كما أن ذاته ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر، وأن له سمعًا وبصرًا ليسا كالأسماع والأبصار، وأنها ليست هي هو ولا غيره، بل هي صفات الذات، وقد أجمعوا على أنه لا تدركه العيون، ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته ولا تتبدل أسماؤه، لم يزل كذلك، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» ا.هـ.

وقال الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «نزهوا الله عن صفات المحدثين، وسمات المخلوقين، وطهروا عقائدكم عن تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول والنزول والإتيان والانتقال» ا.هـ.

وقد سأل السيد عبد الرحيم السيد الجليل الشيخ أحمد الرفاعي الكبير قدس سره فقال: «الناس يسألوني عن عقيدتي فما أقول لهم، فقال السيد أحمد رضي الله عنه: «أي عبد الرحيم، إعلم أن كل ما عدا الخالق فهو مخلوق، والليل والنهار والضوء والظلام، والسمٰوات السبع وما فيهما من النجوم والشمس والقمر والأرض، وما عليها من جبل وبحر وشجر، وأنواع النباتات وأصناف النبات، والحيوانات الضار منها والنافع، لم يكن شيء من ذلك إلا بتكوين الله، ولم يكن قبل تكوين الله الأشياء أصل ولا مادة ولا شيء من ذلك إلا بتكوين الله، وكذلك الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والأنس والجن والشياطين، لم يكن منها شيء إلا بتكوين الله تعالى، وكذا صفات هذه الأشياء من الحركة والسكون، والاجتماع والافتراق، والأطعام والمشروب والروائح، والجهل والعلم، والعجز والقدرة، والسمع والصمم، والبصر والعمى، والنطق والبكم، والصحة والسقم، والحياة والموت، كل ذلك من مخلوقات الله تعالى، وكذلك أفعال العباد واكتسابهم، من الأمر والنهي والوعد والوعيد، كل ذلك من مخلوقات الله تعالى، خلق كل شيء، قال الله تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴿٣﴾﴾ [سورة فاطر].

يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، الطاعات والمعاصي بقضاء الله وقدره، وعبادته بإرادته ومشيئته، فإن الطاعة مقدرة من الله تعالى بقضائه وقدره، وكذا المعصية والمعاصي مكونة مقدرة بقضاء الله تعالى وقدره ومشيئته، لكن ليست برضائه ولا محبته، ولا

بأمره، وما أراد الله أن يكون كان بلا محالة، طاعة أو معصية، وهذا معنى قولنا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمن هداه الله تعالى خلق فيه فعل الاهتداء، من لم يهده لم يهتد وكل ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الرعد]، والله يعطي العبد كما يريد، كان فيه صلاح العبد أو فساده، وغاية صلاح العبد ليست بواجبة على الله تعالى، بل إن كان فيه صلاح كان منه إحسانًا وتفضلاً، وإن لم يكن ذلك كان منه عدلا، فله الفضل والحمد، والله تعالى قديم ليس لوجوده ابتداء، وباق ليس لبقائه انتهاء، حي بلا روح، عالم بلا قلب وفكرة، قادر لا بآلة، سميع لا بأذن، بصير لا بحدقة، متكلم لا بلسان، والله تعالى قديم بصفاته، وليس شيء من صفاته محدث، وكلامه ليس من الحروف والأصوات، بل الحروف والأصوات عبارة عن كلامه ودلالة عليه، والله تعالى ليس بجسم، ولا جوهر ولا عرض، ولا على مكان ولا في مكان، بل كان جلت عظمته ولا زمان ولا مكان، والله تعالى ليس بصورة، وكل ما تصور في فهمك ووهمك فالله تعالى خالقه ومكونه، والله تعالى لا يشبه شيئًا مما خلق، ولا يشبه ذاته ذوات المخلوقين، ولا صفاته صفات المخلوقين كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] والله تعالى واحد أحد فرد صمد، لا شريك له ولا وزير له، ولا شبيه له، ولا ضد له ولا ند له، ولا نظير له ولا مثيل له، ولا أول له ولا ءاخر له، ولا ولد له ولا والدة له ولا والد له، وهو الأول والآخر، والظاهر

والباطن، وهو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، علام بأمور خلقه من مبتداهم إلى منتهاهم، وكل مخلوق بخلقته شاهد عادل على أنه لا إلٰه إلا هو الرحمٰن الرحيم.

وأن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخيرته من خلقه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وأن الله أرسل من قبله رسلاً، أولهم ءادم وخاتمهم محمد ﷺ، وكلهم جاءوا بالحق وتكلموا بالصدق، وبلغوا الرسالة وصدقوا فيما بلغوا عن ربهم عز وجل، وكل ما أنزل عليهم من الكتب والصحف حق، وأن محمدًا ﷺ خاتم الرسل ولا نبي بعده حق، وأن الرسل كلهم على حق، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل في ءاخر الزمان حق، وأن المعراج حق، أسري بالنبي ﷺ بنفسه وشخصه في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس على ظهر البراق، ثم عرج به إلى السماء حيث شاء الله، وأن الصالحين مع علو منزلتهم وقربهم من الله لا يسقط عنهم شيء من الفرائض والواجبات من الصلاة والزكاة والحج والصيام وغير ذلك، ومن زعم أنه صار وليًا وسقط عنه الفرائض فقد كفر فإنه لم يسقط ذلك عن الأنبياء فكيف يسقط عن الأولياء. وأن الإيمان يزيد وينقص، والإيمان والإسلام واحد، وكل مسلم مؤمن، وأن عذاب القبر حق وأن منكرًا ونكيرًا حق، وسؤالهما حق، وأن البعث حق والعرض حق، والحساب حق، وأن الجنة ونعيمها حق، والنار وعذابها حق، وأهل الجنة يرون ربهم بعينهم من غير تشبيه ولا إحاطة ولا كيفية ولا مقابلة ولا على مكان ـ هم

في الجنة وهو موجود بلا مكان ـ، ولا في جهة من الجهات الست، وأن قراءة الكتب أي في الآخرة حق، يؤتى المؤمن كتابه بيمينه والكافر بشماله، والميزان حق والشفاعة للنبي حق، وأن أبا بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ وخليفة حق، وبعده خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق، وبعده خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حق، وبعده خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه حق، إلى أن قال سيدنا أحمد الرفاعي فهذا اعتقادنا ومذهبنا فمن خالفه وقال غير ذلك لا برهان له والله بريئ منه ا.هـ (من كتاب المجالس الرفاعية).

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: «ما ثم اتصال وما ثم انفصال ولا حلول ولا انتقال ولا حركة ولا زوال ولا مماسة، ولا مجاورة ولا محاذاة ولا مقابلة ولا مماثلة ولا مجانسة ولا تجسد ولا تصور ولا انفعال، ولا سكون ولا تغير، وغاية الاستدلال العقلي الوصول إلى أنه موجود لا يشبه الموجودات وهذا هو النظر الصحيح» ا.هـ.

ويقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه: «كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان» ا.هـ.

وقال أيضًا: «إن الله تعالى خلق العرش إظهارًا لقدرته ولم يتخذه مكانًا لذاته» ا.هـ.

ويقول الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: «من زعم أن الله في شيء أو على شيء أو من شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان على شيء لكان محمولا، ولو

كان من شىء لكان محدثًا أي مخلوقًا» ا.هـ.

قال الإمام السجاد زين العابدين في الصحيفة السجادية التي رواها الحافظ الفقيه اللغوي مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء: «أنت الله الذي لا تحد فتكون محدودًا» ا.هـ.

وقال أيضًا: «سبحانك أنت الله الذي لا يحويك مكان لا تحس ولا تمس ولا تجس» ا.هـ.

وقال أيضًا: «سبحانك أنت الذي ليس بمحدود» ا.هـ.

وقال الشيخ أبو بكر بن إسحاق الكلاباذي الحنفي (٣٨٠هـ). في بيان عقيدة الصوفية ما نصه: «اجتمعت الصوفية على أن الله لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان» ا.هـ.

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: «إذا قلتم لا إله إلا الله فقولوها بالإخلاص الخالص من الغيرية، ومن خطورات التشبيه والكيفية، والتحتية والفوقية، والبعدية والقربية وهو واحد في ذاته غير منقسم ولا متحيز ولا حال ولا متحد» ا.هـ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي الأندلسي: «البارئ تعالى يتقدس عن أن يحد بالجهات أو تكتنفه الأقطار» ا.هـ.

وقال القاضي أبو بكر أيضًا ما نصه: «إن الله سبحانه منزه عن الحركة والانتقال لأنه لا يحويه مكان كما لا يشتمل عليه زمان، ولا يشغل حيزًا كما لا يدنو إلى مسافة بشىء، متقدس الذات عن الآفات منزه عن التغيير، وهذه عقيدة مستقرة في القلوب

ثابتة بواضح الدليل» ا. هـ.

وقال أيضًا ما نصه: «الله تعالى يتقدس عن أن يحد بالجهات» ا. هـ.

وقال الإمام الرفاعي: «غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان» ا. هـ.

وقال الرفاعي أيضًا ما نصه: لا يحده ـ تعالى ـ المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه السمٰوات، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواءًا منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والتحول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون بقبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الدرجات ا. هـ.

قال الإمام الحافظ المفسر عبد الرحمٰن بن علي المعروف بابن الجوزي الحنبلي ما نصه: «الواجب علينا أن نعتقد ان ذات الله تعالى لا يحويه مكان ولا يوصف بالتغير والانتقال» اهـ.

وقال أيضًا: «فترى أقوامًا يسمعون أخبار الصفات فيحملونها على ما يقتضيه الحس كقول قائلهم: ينزل بذاته إلى السماء وينتقل، وهذا منهم رديء، لأن المنتقل يكون من مكان إلى مكان، ويوجب ذلك كون المكان أكبر منه، ويلزم منه الحركة، وكل ذلك محال على الحق عز وجل» اهـ.

وقال أيضًا: «كل من هو في جهة يكون مقدرًا محدودًا وهو يتعالى عن ذلك، وإنما الجهات للجواهر والأجسام لأنها أجرام تحتاج إلى جهة، وإذ ثبت بطلان الجهة ثبت بطلان المكان» اهـ.

وقال الشيخ الصوفي الصالح عبد الله بن سعد المعروف بابن أبي جمرة ما نصه: «فمحمد عليه السلام فوق السبع الطباق ويونس عليه السلام في البحار وهما بالنسبة إلى القرب من الله سبحانه على حد سواء، ولو كان عز وجل مقيدًا بالمكان أو الزمان لكان النبي ﷺ أقرب إليه، فثبت بهذا نفي الاستقرار والجهة في حقه جل جلاله» اهـ.

وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني (٧٦٨هـ) بعد أن ذكر عقيدة الصوفية في تنزيه الله عن الجهة والمكان ما نصه: «فأنا أذكر الآن عقيدتي معهم على جهة الاختصار فأقول وبالله التوفيق: الذي نعتقده أنه سبحانه وتعالى استوى على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزهًا عن الحلول والاستقرار والحركة والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محملون بلطف قدرته، لا يقال أين كان ولا كيف كان ولا متى كان ولا مكان ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان، تعالى عن الجهات والأقطار والحدود والمقدار» اهـ.

وقال الشيخ أبو علي محمد بن علي بن عبد الرحمٰن الصوفي الزاهد المعروف بابن عراق الكناني الدمشقي نزيل بيروت (٩٣٣هـ) ما نصه: «كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان، جلّ عن التشبيه والتكييف، والتأليف والتصوير» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه: «ذات الله ليس بجسم، فالجسم بالجهات محفوف، هو الله الذي لا إلـٰه إلا هو الملك القدوس، على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس» اهـ.

وقال الصوفي الزاهد العارف الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي (١١٤٣هـ) ما نصه: «فيتنزه سبحانه وتعالى عن جميع الأمكنة العلوية والسفلية وما بينهما» اهـ.

وقال أيضًا: «الجهات جمع جهة، وهي ست: فوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف، والجهة عند المتكلمين هي نفس المكان، باعتبار إضافة جسم ءاخر إليه، ومعنى كون الجسم في جهة كونه مضافًا إلى جسم ءاخر حتى لو انعدمت الأجسام كلها لزم من ذلك انعدام الجهات كلها، لأن الجهات من توابع الأجسام وحيث انتفى عن الله تعالى الزمان والمكان انتفت الجهات كلها عنه تعالى أيضًا لان جميع ذلك من لوازم الجسمية وهي مستحيلة في حقه تعالى» اهـ.

وقال الشيخ الصوفي الزاهد العلامة مولانا خالد بن أحمد النقشبندي (١٢٤٢هـ) ما نصه: «أشهد بأن الله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، وكذلك صفاته لا يقوم به حادث ولا يحل في شىء ولا يتحد بغيره، مقدس عن التجسم وتوابعه وعن الجهات والأقطار» اهـ.

وقال الصوفي العارف بالله الزاهد العابد الشيخ بهاء الدين محمد مهدي بن علي الرواس الصيادي الحسيني الشافعي (١٢٨٧هـ) ما نصه: «الوسيلة الأولى صحة الاعتقاد، ولنذكر ذلك

بالاختصار على الوجه الكافي، وهو أن يعتقد المرء أن الله واحد لا شريك له، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن ليس كمثله شىء، لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه السموات» انتهى باختصار.

وقال الرفاعي: «التوحيد وجدان تعظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه» اهـ.

ويَنقل الإمام الشعراني عن علي الخواص قوله: «لا يجوز أن يقال إنه تعالى في كل مكان كما تقول المعتزلة القدرية» اهـ.

وقال أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري عند ذكر عقيدة الصوفية ما نصه: «وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب، قال شيوخ هذه الطريقة على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتها في التوحيد: «إن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم لا يشبهه شىء من المخلوقات، ليس بجسم ولا جوهر، ولا عرض، ولا صفاته أعراض، ولا يتصور في الأوهام، ولا يتقدر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت وزمان» انتهى باختصار.

وقال الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي الأشعري ما نصه: «تعالى ـ أي الله ـ عن أن يحويه مكان، كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان» اهـ.

ويقول الإمام القشيري: «اعلموا أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعدهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف، وأهل السنة من توحيد، ليس فيه تمثيل ولا تعطيل» اهـ.

ويقول مقدم الطائفة الصوفية الجنيد البغدادي: «التوحيد إفراد القديم من المحدث» اهـ.

ويقول الإمام الشيخ أحمد الرفاعي الكبير: «صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر» اهـ.

وقال رضي الله عنه أيضًا: «فسبيل المتقين من السلف تنزيه الله تعالى عما دل عليه ظاهره، وتفويض معناه المراد إلى الحق تعالى وتقدس» اهـ.

وقال أيضًا: «ولكم حمل المتشابه على ما يوافق أصل المحكم لأنه أصل الكتاب، والمتشابه لا يعارض المحكم» اهـ.

وقال رضي الله عنه: «أصموا أسماعكم عن علم الوحدة، وعلم الفلاسفة، وما شاكلهما فإن هذه العلوم مزالق الأقدام إلى النار» اهـ.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من زعم أن إلٰهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود» اهـ.

وقال أبو بكر الشبلي: «الله الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف سبحانه لا حد لذاته ولا حرف لكلامه» اهـ.

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي: «من زعم أن الله يسكن السماء، أو أنه جسم قاعد فوق العرش فهو كافر» اهـ.

ويقول أيضًا:

معرفة الله عليك تفترض بأنه لا جوهر ولا عرض
وليس يحويه مكان لا ولا تدركه العقول جل وعلا
لا ذاته يشبه للذوات ولا حكت صفاته الصفات

واعلم أن التصوف الحقيقي هو حق وصدق، وموافق لما عليه أهل السنة والجماعة من العقيدة الصافية ومن شوائب التشبيه والتكييف، ومما يدلنا على ذلك ما روي أن السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، كان صوفيًا كبيرًا محبًا لأهل التصوف مقربًا لهم وها هو يأمر بأن تذاع عقيدة أهل السنة والجماعة على ما قرره الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله على المآذن، فقد كان أشعري العقيدة شافعي المذهب صوفي المشرب، وقد قال الحافظ السيوطي في كتابه «الوسائل إلى مسامرة الأوائل» ما نصه: «إن السلطان صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين في وقت التسبيح أن يعلنوا بذكر العقيدة الأشعرية فوظف المؤذنين على ذكرها كل ليلة إلى وقتنا هذا» أي إلى وقت السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ. ولا يخفى على كل مسلم مكانة السلطان المجاهد صلاح الدين بين المسلمين وشهرته وصلاحه وهو ظاهر ومشهور.

ولما كان للسلطان صلاح الدين هذا الإهتمام بعقيدة الأشعري (عقيدة أهل السنة والجماعة) ألّف له الشيخ النحوي محمد بن هبة الله المكي رسالة سماها «حدائق الفصول وجواهر الأصول»

وأهداها للسلطان فأقبل عليها وأمر بتعليمها حتى للصبيان في الكتاتيب، وصارت تسمى فيما بعد «بالعقيدة الصلاحية» وهي منظومة شعرًا حتى يسهل حفظها للصغار. ونذكر شيئًا منها لبيان ما كان عليه مشاهير المتصوفة من الاعتقاد السليم ما يدلك على صفاء معتقدهم ورقي منهجهم.

يقول الناظم محمد بن هبة البرمكي وهو من على القرن السادس الهجري:

فهذه قواعد العقائد ذكرت منها معظم المقاصد
جمعتها للملك الأمين الناصر الغازي صلاح الدين

إلى أن يقول:

وصانع العالم فردٌ صمد ليس له في خلقه مساعد
جلّ عن الشريك الأولاد وعز عن نقيصة الأنداد

ويقول عن الله عز وجل:

وهو قديم ماله ابتداء ودائم ليس له انتهاء
لأن كل ما استقر قِدمه فيستحيل في العقول عدمه

ويقول في تنزيه الله عن الحد والمكان:

وصانع العالم لا يحويه قطر[1] تعالى الله عن تشبيه
قد كان موجودًا ولا مكانا وحكمه الآن على ما كانا
سبحانه جل عن المكان وعزّ عن تغير الزمان
فقد غلا وزاد في الغلو من خصه بجهة العلو

(١) القطر معناه الجهة.

وحصر الصانع في السماء مبدعَها والعرش فوق الماء
واثبتوا لذاته التحيزا قد ضلّ ذو التشبيه فيما جوّزا

ويقول في تأويل ما تشابه من القرءان:

اعلم أصبت نهج الخلاص وفزت بالتوحيد والإخلاص
أن الذي يؤمن بالرحمٰن يثبت ما قد جاء في القرءان
من سائر الصفات والتنزيه عن سنن التعطيل والتشبيه
من غير تجسيم ولا تكييف لما أتى فيه ولا تحريف
فإن من كيَّف شيئا منها زاغ عن الحق وضلّ عنها
وهكذا ما جاء في الأخبار عن النبي المصطفى المختار
فكل ما يروى عن الآحاد في النص في التجسيم والإلحاد
فاضرب به وجه الذي رواه واقطع بأنه قد افتراه
فاحفظ حديث هذه الأصولا ثم الزمنها ودع الفضولا

خاتمة في بيان العقيدة المنجية:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم، وبعد فهذا ما أملاه شيخُنا المحقّقُ والأصولِيُّ المدقّقُ العلّامةُ المحدّثُ اللغوِيُّ النحويُّ المفسّرُ الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ يوسفَ القُرَشِيُّ العبدَرِيُّ نسبًا، الأشعريُّ الماتريديُّ عقيدةً، الرفاعيُّ طريقةً، الهرريُّ موطنًا، المعروفُ بالحبشيّ رضيَ الله عنه وأرضاهُ ونفعنَا به في الدارينِ ببركةِ سيدِنا محمدِ صلى الله عليه وسلَّم ءامين.

قالَ رَضِيَ الله عنه:

فائدةٌ: قالَ أهلُ الحقّ: العالَمُ جوهرٌ أو عَرَضٌ، فالجوهرُ ما له حَجمٌ وهو قِسمانِ قسمٌ مُتَناهٍ في القِلَّةِ بحيثُ لا ينقسِمُ وقسمٌ ينقسِمُ ويسمَّى جسمًا، فالأولُ يسمَّى الجوهرَ الفردَ الجُزءَ الذي لا يَتَجَزأُ، وأما العَرَضُ فهو ما يقومُ بالجوهرِ أي ما كانَ صفةً له كحركةِ الجسمِ وسكونِهِ وتَحَيُّزِهِ في حَيّزٍ، فأما الله تباركَ وتعالى فهو غيرُ ذلِكَ كلّهِ، يستحيلُ أن يكونَ جوهرًا فردًا أو جَوهرًا متألّفًا بحيثُ صارَ جسمًا وهذا معنى قولِ بعضِهِم إنَّ الله منزَّهٌ عن الكَمّيةِ والكَيفيةِ، ولا شيءَ سوى الله تعالى كذلك، وأما قولُ أصحابِ الهَيُولى إن ما لا كميةَ له ولا كيفيةَ يقولون: لا يوجد فهو باطِلٌ.

وقولُ أهلِ الحقّ إنَّ الله منزَّهٌ عن الحدّ هذا معناه لأنَّ الله لو كان جوهرًا فَردًا لكانَ الجوهرُ الفردُ مِثلًا له، ولو كانَ زائِدًا على ذلك إلى حَدّ أكبرِ الأجرام وهو العرشُ أو أَزيَدَ إلى قَدر يتناهَى أو إلى قَدرٍ يُفتَرَضُ أنه لَا يَتَنَاهَى لَلَزِمَ كونُه مؤلفًا أي مركَّبًا والمؤلَّفُ يحتاجُ إلى المؤلّفِ والمحتاجُ إلى غيرِهِ حادِثٌ لا بُدَّ، وهذا قولُ عليّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ الله عنهُ: «مَن زَعَمَ أن إلٰهنَا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ» رواه أبو نُعَيم، وقولُ عليّ بن الحسينِ بنِ عليّ بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنهُم زينُ العابدينَ: «إنَّ الله ليسَ بمحدودٍ» رواه بالإسنادِ المتَّصلِ الإمامُ الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزَّبيدِيُّ في إتحافِ السادةِ المتقينَ، وقولُ أحمدَ بن محمدِ بنِ سلامةَ الطحاويّ: «تعالى - أي الله - عن الحدودِ»، ولذلك استحالَ على الله أن يكونَ متَّصلًا بالعالم أو حالا فيه أو مبايِنًا له بالمَسافةِ، وهذا هو الحقُّ الذي لا يَصِحُّ

غيرُهُ، وذلك لأنَّ المخلوقاتِ إما أن تكونَ متَّصِلَةً ببعضِها أو منفصلةً بعضُها عن بعضٍ وكِلا الوجهينِ مستحيلٌ وصفُ الله بهِ، وذلك لأنه يَلزمُ منه إثباتُ المِثلِ لله، والله تبارك وتعالى نفَى عن نفسِهِ المثلَ على الإطلاقِ.

فإن قالَ الحَشَوِيّةُ المجسّمةُ المثبتونَ لله الحدَّ: هذا نَفيٌ لوجودِ الله، يقالُ لهم أنتم بنيتُم اعتقادَكُم على ما يَصِلُ إليه الوهمُ ولا عبرةَ بالوهمِ إنما العبرةُ بالدليلِ الشرعيّ والعقلِ وهذا الذي قرّرناه هو ما يقتضيهِ النقلُ والعقلُ، فإن قلتُم لا نؤمنُ بما لا يَصِلُ إليه وهمُنا فقد أنكرتُم مخلوقًا لا يَصِلُ إليه وهمُكم مما أثبته القرءانُ كقولِهِ تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾، فالنورُ والظلامُ مخلوقانِ حادِثان بشهادةِ القرءانِ، فهل يَفهَمُ تصوُّركم وقتًا لم يكنٍ فيه نورٌ ولا ظلامٌ وقد ثَبَتَ ذلكَ بهذِهِ الآيةِ ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾ أي أنَّ الله خلقَ الظلماتِ والنورَ بعد أن لم يكونا، أوجَدَهُما بعدَ أن كانا معدومَينِ وهذا لا تَصِلُ إليه أوهامُنا ولا أوهامُكم ولا يتطَرَّقُ إليه تصوُّرُنا ولا تصوُّرُكم، من يستطيعُ أن يَتصوَّرَ وقتًا لم يَكُن فيه نورٌ ولا ظلامٌ ومع ذلك يجبُ أن نؤمِنَ أنه كانَ وقتٌ ـ أي مخلوقٌ ـ لم يكن فيه نورٌ ولا ظلامٌ، لأنه بعدَ خلقِ الماءِ والعرشِ خَلَقَ الله النورَ والظلامَ، فأولُ ما خَلَقَ الله الماءَ ثم العرشَ فإذًا النورُ والظلامُ ما كانا إلا بعدَ وجودِ الماءِ والعرشِ، وليُعلم أنَّ ما جازَ عليه الدخولُ والخروجُ فهو مخلوقٌ لله الواحدِ الذي ليسَ كمثلِهِ شَيءٌ.

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدِنا محمّدٍ وعلى ءالهِ وصَحبِهِ وسلَّمَ. انتهى.

علوم الصوفية ومعارفهم

اعلم أن التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، وأوسطه عمل، وءاخره موهبة.

واعلم أن لأهل التصوف علومًا عبروا عنها بعبارات لها معانٍ فالمواهب معناها ما يعطى السالك ثمرة مجاهدته وسيره في المقامات وهي الأحوال[١]، لأن الأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، ولأن الأحوال تأتي والمقامات تحصل ببذل، وقالوا: الأحوال كاسمها، وسمي الحال لتحوله، والمقام مقامًا لإقامته، والشوق وهو هيجان القلب عند ذكر المحبوب، والهيبة وهو تعظيم القلب.

وقد قال الشيخ أبو بكر الكلاباذي في كتابه «التعرف لمذهب أهل التصوف»: «اعلم أن علوم الصوفية علوم الأحوال، والأحوال مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال[٢] إلا من صحح الأعمال. وأول تصحيح الأعمال معرفة علومها، وهي علم الأحكام الشرعية من أصول الفقه وفروعه من الصلاة والصوم وسائر الفرائض إلى علم المعاملات من النكاح والطلاق والمبايعات وسائر ما أوجب الله وندب له، وما لا غناء به عنه

(١) قال العارف بالله المحدث الشيخ عبد الله الهرري في تعريف الحال: الحال هو أمر ذوقي يحصل للشيخ والمريد فيتأثر منه القلب والجسد لذلك قالوا من ذاق عرف.

(٢) معنى الأحوال كما قال كمال الدين عبد الرزاق الفاشاني: هي المواهب الفائقة على الصبر من الله، إما واردة عليه ميراثًا للعمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب، وإما نازلة من الحق امتنانًا محضًا.

من أمور المعاش، وهذه علوم التعلم والاكتساب، ثم يقول بعد كلام له: «ثم عليه علم ءافات النفس ومعرفتها ورياضتها، وتهذيب أخلاقها، ومكائد العدو، وفتنة الدنيا وسبيل الاحتراز منها، وهذا علم الحكمة، فإذا استقامت النفس على الواجب وصلحت طباعها، سهل عليه إصلاح أخلاقها، وتطهير الظاهر منها، والفراغ مما لها وعزوفها عن الدنيا وإعراضها عنها، فعند ذلك يمكن للعبد مراقبة الخواطر وتطهير السرائر، وهذا علم المعرفة، ثم وراء ذلك علم الخواطر وعلوم المشاهدات والمكاشفات وهي التي تختص بعلم الإشارة، وهو الذي تفردت به الصوفية بعد جمعها سائر العلوم التي وصفناها، وإنما قيل علم الإشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار يصعب العبارة عنها على التحقيق، بل تعلم بالمنازلات والمواجيد لا يعرفها إلا من نازل الأحوال وحل تلك المقامات». ا.هـ.

وعلى هذا فإن الإمام القشيري قد فَصَّل سلوكهم ومقاماتهم، وهي التي تشمل علومهم ومعارفهم التي أمروا باتباعها، نذكرها على سبيل الإختصار وهي:

التوحيد: الإفراد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة البقرة].

قال الجنيد: «التوحيد إفراد القديم من المحدث».

وقال علي البوشنجي: «إثبات ذات غير مشبه للذوات ولا

معطل عن الصفات».

وقال القشيري: «التوحيد هو الحكم بأن الله تعالى واحد».

وقال الجنيد أيضًا عن التوحيد: «اعتقاد أنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، ونفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله شيء».

وقال الإمام الرفاعي: «التوحيد وجدان تعظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه».

المعرفة بالله: العلم بالله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنعام].

وقال الغزالي: «لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود».

قال القشيري رضي الله عنه: «المعرفة على لسان العلماء هي العلم، فكل علم معرفة، وكل معرفة علم، وكل عالم بالله تعالى عارف، وكل عارف عالم، وعند هؤلاء القوم: المعرفة صفة من عرف الحق بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، وصدق الله في جميع أحواله».

وقال ذو النون المصري: «علامة العارف ثلاثة: لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطنًا من العلم ينقض عليه ظاهرًا من الحكم، ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل على هتك أستار

محارم الله تعالى».

القناعة: وهي السكون عند عدم المألوفات.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: «القناعة ترك التشوق إلى المفقود والاستغناء بالموجود».

وقال محمد بن علي الترمذي: «القناعة رضا النفس بما قسم لها من رزق»، ويقال: «القناعة الاكتفاء بالموجود، وزوال الطمع فيما ليس بحاصل».

وقال رسول الله ﷺ: **«ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»** رواه أبو يعلى.

وقيل: «وضع الله تعالى خمسة اشياء في خمسة مواضع: العز في الطاعة، والذل في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي، والغنى في القناعة».

التوكل: هو ترك تدبير النفي والانخلاع من الحول والقوة، وإنما يقوى العبد على التوكل، إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه.

واعلم أن التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعدما تحقق العبد أن التقدير من قِبل الله تعالى، وإن تعسر شيء فبتقديره.

وقال سهل بن عبد الله: «من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في القلب».

وقال حمدون القصار: «التوكل هو الاعتصام بالله تعالى».

وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال: «التعلق بالله تعالى في كل حال».

وقال أحمد بن مسروق: «التوكل الاستسلام لجريان القضاء».

وقال سهل بن عبد الله: «التوكل أن يستوي عندك الإكثار والإقلال».

الشكر: هو شكر النعمة وحفظ المنة.

قال الجنيد: «كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي: يا غلام ما الشكر فقلت: أن لا تعصي الله بنعمه».

وقال أيضًا: «الشكر أن لا يستعان بشيء من نعم الله تعالى على معاصيه».

اليقين: وهو زوال المعارضات.

قال ذو النون المصري: «اليقين داع إلى قصر الأمل وقصر الأمل يدعو إلى الزهد، والزهد يورث الحكمة، والحكمة تورث النظر في العواقب».

وقال السري السقطي: «اليقين سكونك عند جولان الموارد في صدرك، لتيقنك أن حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضيًا».

وقال ذو النون المصري: «ثلاثة من أعلام اليقين قلة مخالطة

الناس، وترك المدح لهم في العطية، والابتعاد عن ذمهم عند المنع».

الصبر: هو حبس النفس وقهرها على مكروه تتحمله أو لذيذ تفارقه قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة النحل].

وسئل الجنيد عن الصبر فقال: «تجرع المرارة من غير تعبيس».

وقال ذو النون المصري: «الصبر التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بمساحات المعيشة».

وقال إبراهيم الخواص: «الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقي بلائه بالرحب والدعة».

وقال ذو النون المصري: «الصبر هو الاستعانة بالله تعالى».

وقال ابن عطاء: «الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب».

وقيل: «الصبر هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى».

روى عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» رواه البخاري.

وقال علي رضي الله عنه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد».

المراقبة: دوام النظر بالقلب، والوقوف عند الحدود والشبهات بأن يستشعر أن الله مطلع عليه بكل حركاته وسكناته.

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الأحزاب].

وقال رسول الله ﷺ: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» رواه مسلم.

وسئل ابن عطاء: «ما أفضل الطاعات فقال: مراقبة الحق على دوام الأوقات».

وقال ذو النون المصري: «علامة المراقبة إيثار ما ءاثر الله تعالى، وتعظيم ما عظم الله تعالى، وتصغير ما صغر الله تعالى».

وقال إبراهيم النصر ءاباذي: «الرجاء يحرك إلى الطاعات، والخوف يبعدك عن المعاصي، والمراقبة تؤدي بك إلى طرق الحقائق».

وقال إبراهيم الخواص: «المراعاة تورث المراقبة والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى».

ويقول أحمد الحريري: «أمرنا هذا مبني على فصلين: وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى، ويكون العلم على ظاهرك قائمًا».

الرضا: وهو التسليم وعدم الاعتراض.

قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة المائدة].

قال أبو عبد الله بن خفيف: «الرضا سكون القلب إلى أحكامه

وموافقة القلب بما رضي الله تعالى به واختاره».

وقال الجنيد: «الرضا دفع الاختيار».

وقال رويم: «الرضا استقبال الأحكام بالفرح».

وقيل: «الراضي بالله تعالى هو الذي لا يعترض على تقديره وأحكامه».

وقال أبو علي الدقاق: «ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء، ولكن الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء».

العبودية: القيام بحق الطاعات بشرط التوقير قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الحجر].

ويقال: «العبودية معانقة ما أمرت به ومفارقة ما زجرت عنه».

وقال ابن عطاء: «العبودية من أربع خصال: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر عن المفقود».

الإرادة: ترك ما عليه العادة وهي بدء طريق السالكين.

قال أبو علي الدقاق: «الإرادة لوعة في الفؤاد، ولدغة في القلب، وغرام في الضمير، وانزعاج في الباطن، ونيران تتأجج في القلوب».

ويقول الشيخ محمد الكتاني: «من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء: نومه غلبة، وأكله فاقه، وكلامه ضرورة».

ويقول الجنيد: «إذا أراد الله تعالى بالمريد خيرًا أوقعه في الصوفية».

وقد قيل: «الإرادة ترك ما عليه العادة، وعادة الناس من الغالب التعريج على أوطان الغفلة، والركون إلى اتباع الشهوة والإخلاد إلى ما دعت إليه المنية، والمريد منسلخ عن هذه بالجملة، فصار خروجه أمارة ودلالة على صحة الإرادة، فسميت تلك الحالة إرادة، وهي الخروج عن العادة، فإن ترك العادة أمارة الإرادة، وأما حقيقتها فهي نهوض القلب في طلب رضا الحق سبحانه وتعالى ولهذا يقال إنها لوعة تهون كل روعة».

ـ المريد والمراد:

قيل: «من صفات المريد التحبب إلى الله بالنوافل، والخلوص في نصيحة الأمة، والأنس بالخلوة، والصبر على مقاساة الأحكام، والإيثار لأمر الله تعالى، والتعرض لكل سبب يوصل إليه، والقناعة بالخَمول»(١).

وفرق القوم بين المريد والمراد فقالوا: «المريد هو المبتدي، والمراد هو المنتهي».

وسئل الجنيد عن المريد والمراد فقال: «المريد تتولاه سياسة العلم، والمراد يتولاه الله برعايته، لأن المريد يسير والمراد يطير».

---

(١) أي ترك حب الشهرة والظهور بين الناس.

وقال العارف بالله المحدث الشيخ عبد الله الهرري: «المراد من تطلبه الولاية».

الاستقامة: لزوم طاعة الله ومجانبة الهوى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة فصلت].

وقال الرسول ﷺ: «**قل ءامنت بالله ثم استقم**» رواه مسلم.

وقال أبو علي الدقاق: «الاستقامة لها ثلاثة مدارج: أولها التقويم، ثم الإقامة، ثم الستقامة، فالتقويم من حيث تأديب النفوس، والإقامة من حيث تهذيب القلوب، والستقامة من حيث تقريب الأسرار».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «استقم بطاعة الله ولا ترغ روغان الثعالب».

وقيل: «الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر، لأنها خروج من المعهودات ومفارقه الرسوم والعيادات».

وقيل: «الاستقامة في الأقوال بترك الغيبة، وفي الأفعال بنفي البدعة، وفي الأعمال بنفي الفترة، وفي الأحوال بنفي الحجبة».

الإخلاص: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة

الكهف]، وقال النبي ﷺ: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا ابتغي به وجهه**» رواه النسائي.

وقال ذو النون المصري: «من علامات الإخلاص: استواء المدح والذم من العامة، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال».

وقال أبو عثمان المغربي: «الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال».

وقال حذيفة المرعشي: «الإخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن».

وقال مكحول: «ما أخلص عبد قط أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

ويقول أبو سليمان الداراني: «إذا أخلص العبد انقطت عنه كثرة الوساوس والرياء».

الصدق: وهو قول الحق في مواطن الهلكة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة]، وقال رسول الله ﷺ: «**لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق**» الحديث رواه الطبراني حتى يكتب عند الله صديقًا»، وقيل: الصدق موافقة السر النطق.

وقال عبد الواحد بن زيد: الصدق الوفاء لله عز وجل بالعمل.

والصادق من صدق في أقواله، والصِدّقي من صدق في جميع

أقواله وأفعاله وأحواله.

الحياء: وهو انقباض القلب لتعظيم الربّ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾، وقال رسول الله ﷺ: «**الحياء من الإيمان**» أخرجه الترمذي.

ويقول ذو النون المصري: «الحياء وجود الهيبة في القلب».

ويقول الفضيل بن عياض: «خمس من علامات الشقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل».

وقال السري السقطي: «إن الحياء والأنس يطرقان القلب فإن وجدا فيه الزهد والورع حطا وإلا رحلا».

الحرية: وهي أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات، ويقال: هي الإعراض عن الكل.

قال الإمام أبو علي الدقاق: «من دخل الدنيا وهو حر ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر».

والذي أشار إليه القوم من الحرية أن لا يكون تحت رق شيء من المخلوقات لا من أعراض الدنيا ولا عاجل الدنيا ولا حاصل هوى ولا ءاجل منى ولا سؤال ولا قصد ولا حظ ولا هدف.

وقال إبراهيم بن أدهم: «إن الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها».

الذكر: وهو ذكر الخالق تبارك وتعالى قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١)﴾ [سورة الأحزاب]، وقال النبي ﷺ: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**» رواه الترمذي، ويقول أبو علي الدقاق: «الذكر منشور الولاية فمن دقق للذكر فقط أعطي المنشور».

وقيل إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا من الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا مسه الشيطان فتجمع إليه الشياطين ما لهذا فيقال قد مسه الإنس.

وقال رسول الله ﷺ: «**خير الذكر الخفي**» رواه أحمد.

وقيل: «تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: الصلاة، والذكر، وقراءة القرءان».

الفتوة: كف الأذى وبذل الندى، وقيل: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان، وقيل: أن لا ترى لنفسك فضلًا على غيرك.

وقال الحارث المحاسبي: الفتوة أن تنصف وتنتصف.

وقال عمرو بن عثمان المكي: الفتوة حسن الخلق، وقيل: هي اتباع السنة والوفاء والحفاظ على الحدود وإظهار النعمة وإسرار المحنة.

الفراسة: المعرفة بما في سويداء القلوب بالاستدلال والعلامات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)﴾ [سورة الحجر]، وقال رسول الله ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه**

ينظر بنور الله» رواه الترمذي.

قوله: نظر بنور الحق أي بنور خصه به الله سبحانه وتعالى ويقول محمد الكتاني: الفراسة مكاشفة المتقين.

ويحكى أن فتى كافرًا جاء إلى الجنيد وهو متنكر فقال له: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ: **«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»** فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال: أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام.

الخُلق الحسن: هو احتمال المكروه من الغير، وكف المكروه عن الغير، وفعل الخير مع من يعرفه لك ومع من لا يعرفه لك.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم].

وقد سئل رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ فقال: **«أحسنهم خلُقًا»** أخرجه ابن ماجه.

قال الأستاذ الشيخ أبو القاسم: الخُلُق الحسن أفضل مناقب العبد ويظهر جواهر الرجال.

وقال شاه الكرماني: علامة حسن الخلق كف الأذى واحتمال المؤن، وقيل: الخُلق أن تكون من الناس قريبًا وفيما بينهم غريبًا، وقيل حسن الخُلق أن لا تتغير ممن يقف في الصف بجانبك، وقيل: الخُلق السيء يضيق قلب صاحبه لأنه لا يسع فيه غير مراده.

الجود والسخاء: وهو البذل والعطاء.

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۝٩﴾ [سورة الحشر].

قال الأستاذ القشيري: حقيقة الجود أن لا يصعب عليه البذل فالسخاء عند القوم يحتل المرتبة الأولى ثم يأتي الجود ثم الإيثار فمن أعطى بعض الناس وأبقى بعضهم فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئًا فهو صاحب جود والذي قاسى الضرر وءاثر بالبُلْغة (ما يكفي العيش) فهو صاحب إيثار.

الغَيرة: وهي تعظيم حقوق الله وإخلاص أعمالهم له.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۝٣٣﴾ [سورة الأعراف].

وقال رسول الله ﷺ: «**وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه**» رواه مسلم.

وقال القشيري: الغيرة كراهية مشاركة الآخرين وإذا وصف الحق سبحانه بالغيرة فمعناه: أنه لا يرضى بمشاركة غيره معه فيما هو حق له من طاعة عبده.

يقول الشبلي: والغيرة غيرتان غيرة لله سبحانه على عبده وغيرة العبد لله تعالى أما غيرة الله على عبده فهو أن لا يجعله للخلق فيضن به عليهم، وغيرة العبد للحق وهو أن لا يجعل شيئًا من أحواله وأنفاسه لغير الله تعالى. مع العلم أنه لا يوصف الله تعالى بالغيرة التي هي اختلاجات عصبية مما هي من صفات المخلوقين.

الولاية: من التولي والحفظ والنصرة والرعاية.

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة يونس].

قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «**من عادى لي وليًا فقد ءاذنته بالحرب**» الحديث رواه البخاري.

قال القشيري: للولي معنيان الأول وهو من يتولى الله سبحانه أمره فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الله سبحانه رعايته. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [سورة الأعراف]، والثاني وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته، فعبادته تجري على التوالي وكلا الوصفين جميل، وحتى يكون الولي وليًا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء.

وقال يحيى بن معاذ في صفة الأولياء: هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة واعتنقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية.

وقال سهل بن عبد الله: الولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة.

وقد قالوا: من الولاية تحذير الناس من الاغترار بجمال الأفعال وحسن المقال وجريان خوارق العادات فلا يراعى في الولي إلا الاستقامة على ما ثبت بالأدلة الصحيحة، وجريان

الخوارق على يد العبد لا يدل على ولايته بل قد يكون ممكورًا به وهذا ما يسمى استدراجًا.

الدعاء: وهو السؤال، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر] يعني اعبدوني أجبكم والدعاء عبادة.

قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء مخ العبادة**» رواه الترمذي.

وقال القشيري: والدعاء مفتاح الحاجة وملجأ المضطرين ومتنفس ذوي المآرب.

وكان صالح المري يقول كثيرًا: من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له.

وقيل: الدعاء هو سلم المذنبين ولسان دموعهم ومراسلتهم وفي الدعاء إلى الله دليل على أن من الكرب العظيمة ما لا يفرجها مال ولا جاه ولا سلطنة ولا طب وإنما يفرجها صحيح الافتقار والتوجه والالتجاء إلى من بيده النفع والضر.

الفقر: قال الله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴿٢٧٣﴾﴾ [سورة البقرة].

وقال رسول الله ﷺ: «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**» رواه الترمذي.

ويقول إبراهيم القصار: الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه.

وقال سهل بن عبد الله: خمسة أشياء من جوهر النفس، فقير يظهر الغنى، وجائع يظهر الشبع، ومحزون يظهر الفرح، ورجل بينه وبين رجل عداوة يظهر له المحبة، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر ضعفًا.

وقال بعض الصالحين:

أتيناك بالفقر يا ذا الغنى وأنت الذي لم تزل محسنا

وسئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال: حقيقته أن لا يستغنى إلا بالله تعالى.

وقال إبراهيم بن أدهم: طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر.

ويقول أبو حفص: أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال وملازمة السنة من جميع الأفعال وطلب القوت من وجه حلال.

التصوف: وهو الصفاء.

قال الشيخ القشيري: «محمود بكل لسان».

وقال أحمد الجريري: التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب.

وقال علي المزين: «التصوف الانقياد للحق».

وقال أحمد بن محمد الروذباري: «التصوف الإقامة على باب الحبيب وإن طرد عنه».

سئل أحمد الجريري عن التصوف فقال: «الدخول في كل خلق سَني والخروج من كل خلق دنيّ».

وقال معروف الكرخي: «التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق».

الأدب: وهو اجتماع خصال الخير.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن أدبه**» أخرجه البيهقي.

وروي عن ابن سيرين أنه سئل أي الأداب أقرب إلى الله تعالى فقال: إيمان بالله وعمل بطاعته والحمد لله على السراء والصبر على الضراء.

وقد قيل: ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبة أهل الريب وحسن الأدب وكف الأذى.

وقد قال سهل: إنه من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى بالإخلاص.

قال أبو نصر السراج الطوسي: «الناس في الأدب على ثلاث طبقات أما أهل الدنيا فأكثر ءادابهم الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب. وأما أهل الدين فأكثر ءادابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات، وأما أهل الخصوصية فأكثر ءادابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى

الخواطر وحسن الأدب في مواقف الطلب ومقامات القرب».

أحكام السفر: الانتقال والارتقاء.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة يونس]، وقد قيل إن السفر على قسمين: سفر بالبدء وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة، وسفر بالقلب وهو الارتقاء من ضفة إلى ضفة فترى الكثيرين يسافرون بأجسامهم والقلائل يسافرون بقلوبهم.

وقال أبو يعقوب السوسي: «يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء في سفره: علم يسوسه وورع يحجزه ووجد يحمله وخلق يصونه».

وقالوا: سافر قبل آن تسافر أي سافر في طلب العلم قبل أن تسافر عن هذه الدنيا.

وكان إبراهيم الخواص لا يحمل شيئًا في السفر وكان لا يفارقه الإبرة والركوة، أما الإبرة فلخياطة ثوبه إن تمزق سترًا للعورة وأما الركوة فللطهارة.

ويقال: السفر هو سفرك عن نفسك.

الصحبة: الرفقة والمتابعة.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة التوبة].

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**متى ألقى أحبابي؟**

فقال أصحابه: بأبينا أنت وأمنا ألسنا أحبابك؟ فقال: **أنتم أصحابي أما أحبابي فهم قوم لم يروني وءامنوا بي وأنا إليهم بالأشواق لأكثر**» أورده في كنز العمال ورواه القشيري في رسالته.

والصحبة على ثلاثة أقسام: صحبة من فوقك وصحبة الأكفاء، وصحبة مع دونك، أما صحبة من فوقك في الحقيقة خدمتهم، أما صحبة مع دونك وهي تقضي الشفقة والرحمة، وصحبة الأكفاء والنظراء وهي مبنية على الإيثار والفتوة.

الخروج من الدنيا: الموت.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النحل].

وقال رسول الله ﷺ: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» رواه الترمذي.

وقال القشيري: «اعلم أن أحوالهم في حال النزع مختلفة فبعضهم يغلب عليه الهيبة وبعضهم يغلب عليه الرجاء ومنهم من كشف له في تلك الحالة ما أوجب له السكون وجميل الثقة».

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «**كيف تجدك**» قال: والله، يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وءامنه مما يخاف**» رواه الترمذي.

ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته: واحزناه فقال: بل واطرباه غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

وقيل لبعضهم: أتحب الموت؟ فقال: القدوم على من يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره.

وقال أبو عثمان الحيري: سئل أبو حفص في حال وفاته ما الذي تعظنا به؟ فقال: لست أقوى على القول، ثم رأى في نفسه قوة فقلت له: قل حتى أروي عنك فقال: الانكسار يكل القلب عن التقصير.

المحبة: الموافقة والإيثار.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة المائدة].

وقال النبي ﷺ: «**إذا أحب الله عز وجل العبد قال لجبريل: يا جبريل إني أحب فلانًا فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول في الأرض**» أخرجه مسلم والترمذي.

وقيل: المحبة المحل الدائم بالقلب الهائم ومعانقة الطاعة ومباينة المخالفة.

وقيل المحبة الموافقة.

وقال أبو يزيد البسطامي: «المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك».

وقد قال قوم: محبة الله للعبد مدحه وثناؤه عليه بالجميل ورحمته ونعمته الخاصة له.

وقالوا: محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة وقد تحمله تلك الحالة على تعظيمه وإيثار رضاه.

الشوق: نزاع الشيء إلى شيء.

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ [سورة العنكبوت].

وقال القشيري: الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق لأن الشوق ثمرة المحبة.

وسئل أحمد بن عطاء عن الشوق فقال: احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأكباد، وسئل أيضًا عن الشوق فقيل له: الشوق أعلى أم المحبة؟ فقال: المحبة لأن الشوق يتولد منها.

وسئل الجنيد: من أي شيء يكون بكاء المحب إذا لقي المحبوب فقال: إنما يكون ذلك سرورًا به ووجدًا من شدة الشوق إليه.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء.

وقال يحيى بن معاذ: علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات بأن يعرض العبد عنها شوقًا إلى ربه كما يعرض الطفل عن اللبن حين يطيب له الطعام ويشتاق إليه.

حفظ قلوب المشايخ: أي حفظ شروط الأدب معهم.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الكهف].

قال الإمام الجنيد: لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب فاستأذن أوَّلا في الصحبة.

وقال أبو علي الدقاق: بدء كل فرقة المخالفة يعني أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلاقة بينهما وإن جمعتهما البقعة فمن صحب شيخًا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة.

وقال الشيخ جعفر الخالدي: من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط الله عليه كلبًا يؤذيه.

السماع: وهو الاستماع والإنصات.

قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الزمر].

وقيل: السماع نداء، والوجد قصد.

وكان الحارث المحاسبي يقول: ثلاث إذا وجدن متع بهن وقد فقدناها: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الصوت مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

وقال الجنيد: تتنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن:

عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد، وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة لينشطوا للعبادة، وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء من حيث أحوالهم ومقاماتهم.

ويقول أبو عثمان سعيد المغربي: قلوب أهل الحق قلوب حاضرة وأسماعهم أسماع مفتوحة.

وقال الجنيد: السماع امتحان وابتلاء لمن طلبه، وقال: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء: الزمان والمكان والإخوان.

وهذا كله إذا لم يكن في السماع شيء محرم وممنوع.

التوبة: أول منزلة من منازل السالكين وأول مقامات الطالبين وحقيقة التوبة في اللغة الرجوع، يقال: تاب أي رجع، فالتوبة الرجوع عن المعصية إلى الطاعة.

يقول الجنيد رضي الله عنه: التوبة على ثلاثة معان: أولها الندم، وثانيها العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى عنه، وثالثها السعي في ءاداء المظالم.

وقال الإمام الواسطي: التوبة النصوح لا تبقي على صاحبها أثرًا من المعصية سرًا ولا جهرًا وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» رواه ابن ماجه.

المجاهدة: وهو مجاهدة النفس بالاستقامة على طاعة الله وقد قال الإمام حسن القزاز: بني هذا الأمر على ثلاثة أشياء: أن لا تأكل إلا عند الفاقة، ولا تنام إلا عند الغلبة، ولا تتكلم إلا عند الضرورة.

وقال إبراهيم بن أدهم: لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجتاز ست عقبات: أولها أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة، والثاني أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل، والثالث أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد، والرابع أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر، والخامس أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر، والسادس أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت.

الخلوة والعزلة: إن الخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة ومعناها الانقطاع عن الخلق والعزلة عنهم.

ثم من ءاداب الخلوة والعزلة أن يحصل من العلوم ما يصحح به عقد توحيده لكي لا يستهويه الشيطان بوساوسه، ثم يحصل من علوم الشرع على ما يؤدي به فرضه ليكون بناء أمره على أساس محكم، والعزلة في الحقيقة اعتزال الخصال الذميمة.

وقد قال أبو بكر الوراق موصيًا أحد الرجال: وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة وشرهما من الكثرة والاختلاط.

وقال الإمام سهل: لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله.

وقال الجنيد: مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة وذلك لاختلاف أخلاق الناس وما يبدو من أذاهم وما يحتاج إليه معهم من الحلم والصفح.

وقد قيل لابن المبارك: ما دواء القلب قال: قلة الاختلاط

بالناس، وقد قال الجنيد: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فإن هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة، إلا أن يكون هناك خير فيخرج ويخالط وإلا فلا.

التقوى: هي لزوم طاعة الله فقد قال رسول الله ﷺ: «**عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير**» رواه أحمد.

وقد قال الإمام العارف الشيخ عبد الله الهرري عن التقوى: «هي أداء الواجبات واجتناب المحرمات».

وقد قال الإمام سهل: «من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها. وقال النصر ءاباذي: من التزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأنعام].

وروي عن الإمام المكرم علي بن أبي طالب عليه السلام في التقوى: «الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل».

وقال أبو بكر الروذباري: «التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى»، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «سادة الناس في الدنيا الأسخياء وسادة الناس في الآخرة الأتقياء».

الورع: وهو ترك الشبهات.

قال إبراهيم بن أدهم: «الورع ترك كل شبهة وترك ما لا

يعنيك هو ترك الفضلات».

وقد قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة: «**كن ورعًا تكن أعبد الناس**» أخرجه ابن ماجه والطبراني في الأوسط.

وقال إسحٰق بن خلف: «الورع في المنطق أشد من الورع في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لأنك تبذلهما في طلب الرياسة».

وقال يونس بن عبيد: «الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة».

وقال معروف الكرخي رضي الله عنه: «احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم».

وقال بشر بن الحارث: «أشد الأعمال ثلاثة الجود في القلة والورع في الخلوة وكلمة الحق عند من يُخاف ويُرجى».

قال سهل بن عبد الله: «من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع».

وقد قيل إن ابن المبارك رجع من مرو في تركستان إلى الشام في قلم استعاره حتى يعيده إلى صاحبه.

ورؤي سفيان الثوري في المنام وله جناحان يطير بهما من الجنة فقيل له: بم نلت هذا؟ فقال: بالورع.

الزهد: هو ترك الحرام والدنيا.

وقد قال الإمام أحمد الرفاعي: «الزاهد يترك الدنيا ولا يبالي مَن أخذها».

وقد قال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبّك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك**» رواه ابن ماجه وغيره.

وقيل: «الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف».

وقال أبو سليمان الداراني: «الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى»، وسئل الجنيد عن الزهد فقال: «خلو اليد من الملك والقلب من التتبع».

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «الزهد على ثلاثة أوجه الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين».

وقال يحيى بن معاذ: «لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة»، وقد سئل الجنيد عن الزهد فقال: «استصغار الدنيا ومحو ءاثارها من القلب».

وقال ابن الجلاء: «الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها».

الصمت: أي السكوت وفيه سلامة فقد قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**» أخرجه البخاري.

ويروى أن سيدنا سليمان عليه السلام قال: «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب».

وقد قيل لذي النون المصري: من أصون الناس لنفسه؟ فقال: «أملكهم للسانه».

وقال بعض الحكماء: «الصمت لسان الحلم».

وقيل: «اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك».

وقد قال الفضيل بن عياض: «من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه» أي فيما يحتاج إليه.

وقال الأستاذ القشيري: «الصمت سلامة وهو الأصل وعليه ندامة إذا ورد عنه الزجر فالواجب أن يعتبر فيه الشرع والأمر والنهي والسكوت في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال لذلك يقول أبو علي الدقاق: الساكت عن الحق شيطان أخرس».

الخوف: معناه أن يخاف من الله تعالى أن يعاقبه في الدنيا أو في الآخرة قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة السجدة]، وقال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة ءال عمران].

يقول أبو حفص: «الخوف سراج القلوب به يبصر الخير والشر».

سئل الجنيد عن الخوف فقال: «توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس».

وقال حاتم الأصم:

لكل شيء زينة وزينة العباد الخوف

وعلامة الخوف قصر الأمل وكثرة العمل.

وقال عبد الله بن المبارك: «إن الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب دوام المراقبة من السر والعلانية».

الرجاء: تعلق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل.

وقيل: «هو ثقة الجود من الكريم الودود».

وقيل: «هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى».

ويقول أبو علي الروذباري: «الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت».

وقال عبد الله بن خفيف: «الرجاء ثلاثة رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها، ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة، ورجل كاذب يتمادى في الذنوب ويقول أرجو المغفرة ومن عرف من نفسه الإساءة ينبغي أن يكون خوفه غالبًا على رجائه».

ويقول العلامة العارف الشيخ عبد الله الهرري: «والعبد مطلوب منه أن يكون بين الخوف والرجاء».

الحزن: حال يفيض القلب عن التفرق في أودية الغفلة، والحزن من أوصاف أهل السلوك.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة فاطر].

وقيل: «إذا لم يكن في القلب حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن خربت».

وقال ابن خفيف: «الحزن حصر النفس عن النهوض في الطرب»، وقيل: «الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع من الذنوب».

وكان الحسن البصري لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة.

الجوع وترك الشهوة: قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة البقرة] فلهذا كان الجوع من صفات القوم وهو أحد أركان المجاهدة فإن أرباب السلوك قد تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع.

وقال أبو سليمان الداراني: «مفتاح الدنيا الشبع لأن الشبع يحرك شهوات الإنسان ويستثيرها ومفتاح الآخرة الجوع».

وقال يحيى بن معاذ: «الجوع نور لأنه يحرك الإنسان للطاعة».

وقد قال رسول الله ﷺ: «**بحسب ابن ءادم لقيمات يقمن صلبه**» رواه الترمذي.

الخشوع والتواضع: الخشوع: «الانقياد للحق والتواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم».

وقال ﷺ: «**من تواضع لله رفعه الله**» رواه ابن ماجه.

وقال الحسن البصري: «الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب».

وسئل الجنيد عن الخشوع فقال: «تذلل القلوب لعلام الغيوب».

ويقال: «الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة».

وسئل الجنيد عن التواضع فقال: «خفض الجناح للخلق ولين الجانب لهم».

وقال ابن عطاء: «التواضع قبول الحق أي كان».

وقال عبد الله الرازي: «التواضع ترك التمييز في الخدمة».

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال أربعة لا ينبغي للشريف أن يأنف منهن ولو كان أميرًا: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وخدمته لعالم يتعلم منه، والسؤال عما لم يعلم.

وقيل لأبي يزيد: «متى يكون الرجل متواضعًا»؟ فقال: «إذا لم ير لنفسه مقامًا ولا حالا».

ويقول إبراهيم بن شيبان: «الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة».

وقال سفيان الثوري: «أعز الخلق خمسة أنفس: «عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغنى متواضع، وفقير شاكر، وشريف سني».

وقال يحيى بن معاذ: «التواضع حسن من كل إنسان لكنه من الأغنياء أحسن والتكبر قبيح في كل إنسان لكنه من الفقراء أسمج».

وقال رسول الله ﷺ: «**من تواضع لله درجة رفعه الله درجات حتى يجعله في أعلى عليين، ومن تكبر على الله درجة أوضعه الله درجات حتى يجعله في أسفل سافلين**» رواه.

مخالفة النفس: قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النازعات]، وقال رسول الله ﷺ: «**ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة**» رواه السيوطي وهو ضعيف.

وقال ذو النون المصري: «مفتاح العبادة الفكر، وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى، ومخالفتهما ترك شهواتهما».

وقال أبو حفص: «من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورًا».

ورؤي أحد الرجال جالسًا في الهواء فقيل: «بم نلت هذا فقال: تركت الهوى فسخر لي الهواء».

وقيل: «لا تضع زمامك في يد الهوى، فإنه يقودك إلى الظلمة».

مصطلحات الصوفية

اعلم حفظك الله أن لهذه الطائفة الشريفة ألفاظًا قد انفردوا بها عمن سواهم، لها معانٍ جليلة ومقاصد كريمة أرادوا بها الكشف عن معانيها لأنفسهم، وسترها عن مخالفهم، وهي معان غامضة على غيرهم ممن باينهم وذلك غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، وهي معانٍ لها أسرار أودعها الله في قلوبهم وها نحن ننقل بعض هذه المصطلحات كما وردت في الرسالة القشيرية باختصار وتصرف:

الوقت، المقام، الحال، القبض والبسط، الوجد، الغيبة والحضور، الصحو والسكر، الذوق والشراب، المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة، القرب والبعد، الشريعة والحقيقة، النفس، الخواطر، الوارد، الشاهد.

الوقت: وهو الزمان.

وقال العارف الشيخ عبد الله الهرري: «الوقت أغلى من الذهب إن لم تصرفه في طاعة الله ذهب».

وقال الصوفية: «الوقت أعز الأشياء عليك، فاصرفه في أعز الأشياء عليك الله رب العالمين».

وقيل: «يريدون بالوقت ما يصادفهم من التصريف لهم دون ما يختارون لأنفسهم».

وقيل: «واجعل لكل وقت شغلاً وعملاً ينفعك وإلا فقد يشغلك بما لا ينفعك».

المقام: الإقامة والمنزلة.

وهو ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب، وما هو مشتغل بالرياضة له.

وشرطه أن لا يرتقى من مقام إلى مقام ءاخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل، ومن لا توكل له لا يصح التسليم، ومن لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد.

الحال: قيل: هو معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب اكتساب من طرب أو حزن أو بسط أو فيض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو اهتياج فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب.

وقال العارف بالله الشيخ عبد الله الهرري: «الحال أمر ذوقي يحصل للشيخ والمريد فيتأثر منه القلب والجسد، لذلك قالوا من ذاق عرف».

القبض والبسط: وهما حالتان بعد ابتعاد العبد عن حالتي الخوف والرجاء فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمبتدئ بالطريق إلى الله والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف.

ومن أدنى موجبات القبض أن يرد على قلبه وارد موجبه إشارة إلى عتاب أو رمز باستحقاق تأديب فيحصل في القلب قبض.

وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقريب أو إقبال فيه لطف وترحيب فيحصل للقلب بسط.

يقول الجنيد: «الخوف من الله يقبضني والرجاء منه يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني».

الوجد: ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تكلف.

قال المشايخ: «الوجد هو المصادفة والمواجيد ثمرات الأوراد».

وسئل الشبلي: هل تظهر ءاثار صحة الوجد على الواجدين فقال: «نعم نور يزهر مقارنا لنيران الاشتياق فتلوح على الهياكل ءاثارها».

الغَيْبة والحضور: غَيبة القلب وحضوره.

فالغَيبة هي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ثم يغيب إحساسه بنفسه وبغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب.

ويقال لرجوع العبد إلى إحساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق إنه رجع عن غيبته فهذا يكون حضورًا بخلق والأول يكون حضورًا بحق وقد تختلف أحوالهم في الغيبة فمنهم لا تطول غيبته ومنهم من تدوم غيبته.

وروي عن علي بن الحسين أنه كان في سجوده فوقع حريق في داره فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله فقال: «ألهتني النار الكبرى عن هذه النار».

المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة: فالمحاضرة حضور القلب ثم بعدها المكاشفة وهي حضوره بنعت البيان ثم المشاهدة وهي الحضور من غير بقاء تهمة.

ويقال: المشاهدة ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله أنه تتوالى أنوار التجلي على قلبه من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق.

القرب والبعد: فالقرب هو القرب من طاعته والبعد هو التدنيس بمخالفته والتجافي عن طاعته.

فقرب العبد أوَّلا بإيمانه وتصديقه ثم قربه بإحسانه وتحقيقه ولا يكون قرب العبد القرب المعنوي من الحق إلا ببعده عن الخلق وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون وأول البعد بعد عن التوفيق ثم عن التحقيق، وأما القرب بالذات فتعالى الله الملك الحق عنه فإنه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار، ما اتصل به مخلوق وما انفصل عنه حادث مسبوق.

الشريعة والحقيقة: فالشريعة التزام بالعبودية والحقيقة طريقة الوصول فكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فأمرها غير مقبول فالشريعة قيام بالأمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر.

واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره والحقيقة أيضًا من حيث أن المعارف به سبحانه أيضًا وجبت بأمره.

النفس: ترويح القلوب بلطائف الغيوب وصاحب الأنفاس أرقّ وأصفى من صاحب الأحوال.

فالأحوال وسائط والأنفاس نهاية الترقي فالله خلق القلوب وجعلها محلاً للتوحيد.

فالأوقات لأصحاب القلوب والأحوال لأرباب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر.

الخواطر: والخواطر خطابات ترد على القلوب وقد يكون الخطاب بإلقاء ملك أو شيطان أو أحاديث نفس.

وقالوا: إذا كان الخاطر من الملك فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم، وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي، وإذا كان من النفس فأكثره يدعو إلى اتباع شهوة أو استشعار عبر.

الوارد: ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد، والواردات قد تكون وارد سرور أو وارد حزن أو وارد قبض أو وارد بسط إلى غير ذلك من المعاني.

الشاهد: هو ما يكون حاضر قلب الإنسان فكل ما يستولي ذكره على قلب صاحبه فهو يشاهده فإن كان الغالب عليه العلم فهو يشاهد العلم فإن كان الغالب عليه الوجد فهو الوجد فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك.

كرامات الأولياء

قال الله تعالى في القرءان الكريم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يونس].

وقال الإمام القشيري: الولي من توالت طاعاته، ومن تولى الحق سبحانه حفظه، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [سورة الأعراف] ولا يكون معصومًا كالأنبياء بل يكون محفوظًا حتى لا يصر على الذنوب.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الكهف] الآية.

وقد بسط الكلام في تفسير هذه الآية على إثبات كرامات الأولياء الفخر الرازي في تفسيره الكبير فقال: «احتج أصحابنا الصوفية بهذه الآية على صحة القول بالكرامات».

ومن دلائل الكرامات نص القرءان في قصة صاحب سليمان عليه السلام ءاصف بن برخيا في قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النمل] ولم يكن نبيًا، والأثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيح أنه قال: يا سارية

الجبل الجبلَ في حال خطبته يوم الجمعة، وتبليغ عمر إلى سارية في ذلك الوقت حتى تحرزوا من مكامن العدو من الجبل تلك الساعة.

وأنشدوا: (الرجز)

وأَثبتن للأوليا الكرامه ومن نفاها فانبذن كلامه

واعلم أن كرامات الأولياء ثابتة بالقرءان والحديث وما تواتر من أخبار على مر العصور والأزمان، وهذا هو الحق عند جمهور أهل السنة. وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم متابعة نبيّ كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم، فامتازت بعدم الاقتران (أي بدعوى النبوة) المذكور عن المعجزة، كما وأنها تختلف عن الإرهاص، والإرهاص ما يحصل للنبي قبل نزول الوحي عليه كتسليم الحجر على رسول الله في شعاب مكة، وامتازت بظهور الصلاح عما يسمى معونة كالتي تظهر على يد بعض عوام المسلمين تخليصًا لهم من المحن والمكاره، وبالتزام متابعة نبي كلف بشريعته عن الخوارق المؤكدة لكذب الكذابين وتسمى إهانة كبصق مسيلمة الكذاب في بئر عذبة الماء ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحًا أجاجًا.

وليس إنكار الكرامة من أهل البدع بعجيب إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم في العبادات صورة واجتناب السيئات بزعمهم، فوقعوا في أولياء الله تعالى أهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون أديمهم جاهلين

كون هذا الأمر مبنيًا على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة.

وقال الإمام القشيري: قال أوحد فنه في وقته القاضي أبو بكر الأشعري رضي الله عنه: إن المعجزات تختص بالأنبياء، ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها إنما كانت لحصولها على أوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة، والولي لا يدعي النبوة، فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة، قال القشيري: وهذا القول الذي نعتمده ونقول به، فشرائط المعجزات شكلها أو أكثرها توجد في الكرامة إلا هذا الشرط الواحد.

واعلم أن كل كرامة لولي هي معجزة للنبي الذي يتبعه ذلك الولي، وما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي إلا ما كان من خصائص النبوة.

وأنشدوا قولهم: (الكامل)

والأوليا اذكرهم بخير إنهم تبعوا الرسول بصحة الآداب
خدموا الشريعة وما اتبعوا الهوى متمسكين بأشرف الأنساب
صحت ولايتهم بشاهد حالهم فَعَلَوْا وصاروا وجهة الطلاب
لهم الكرامات التي ظهرت بنا كالشمس ما حجبت ببرد سحاب

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن الذي يدل على جواز كرامات الأولياء القرءان والأخبار والآثار.

فأما الأول: ما جاء في قصة مريم عليها السلام وولادتها عيسى دون زوج، وكفالة زكريا لها عليه الصلاة والسلام، وكان لا يدخل عليها غيره وإذا خرج من عندها أغلق عليها سبعة أبواب، وكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، ومن قصة أصحاب الكهف ولبثهم في كهفهم سنين بلا طعام ولا شراب، ومن قصة ءاصف بن برخيا وإتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام، وكذلك قصة إماتة عزير مائة عام، ومن ذلك قصة ذي القرنين وتمكينه في الأرض وملكه تلك المساحة الشاسعة في المدة القليلة.

والثاني: ما ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه أخبر عن الصالح جريج الذي أكرمه الله بأن أنطق له غلامًا في المهد وخبر الثلاثة الذين ءاواهم المبيت إلى غار فدخلوه فسدت عليهم الغار صخرة فأكرمهم الله بأن نجاهم بصالح أعمالهم.

وكذلك قول النبي ﷺ: «**ربَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**» رواه مسلم والأخبار كثيرة، ومنها ما قال رسول الله ﷺ عن ربه أنه قال: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها**» رواه البخاري، ويقول الإمام الرفاعي رضي الله عنه في شرح هذا الحديث: «إلصقوا بأولياء الله، الوليّ من وادَّ الله وءامن به واتقاه، فلا تحادّوا من وادّ الله. الله ينتقم لأوليائه ممن يؤذيهم، عليكم بمحبتهم والتقرب إليهم تحصل لكم البركة».

أما الآثار فمنها أن الملائكة كانت تسلم على عمران بن

الحصين، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة وسبح ما فيها، وعباد بن بشر وأُسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما رواه البخاري وغيره، وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسًّا على رأسها فرفعته فإذا دلو برشاء أبيض معلق فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها، وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسدَ أنه رسولُ رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله إلى مقصده، وخالد بن الوليد حاصر حصنًا فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره، وعمر رضي الله عنه نادى سارية من المنبر والقصة مشهورة، ومثله كثير.

ومثل ما جرى لأبي مسلم الخولاني الذي مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمى بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون من متاعكم شيئًا حتى أدعوا الله فيه، فقال بعضهم: فقدت مخلاة فقال: اتبعني فاتبعه فوجدوها قد تعلقت بشيء فأخذوها، وطلبه الأسود العنسي الذي ادعى النبوة فقال له: اشهد أني رسول الله فقال: ما أسمع، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائمًا يصلي وقد صارت بردًا وسلامًا، قال عمر رضي الله عنه حين علم بذلك: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله، وكذلك وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق عليَّ منة ودعا الله سبحانه فأحياه

له، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات (أي الفرس)، وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر النبي ﷺ أوقات الصلاة وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره، وكان إبراهيم التميمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئًا، وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فسأل ربه سبحانه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء والصلاة، فكانت تطلق له أعضاؤه. ثم نذكر ما حصل أيضًا لعبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه رجع من سفر كان فيه مرة فوجد جماعة على الطريق فقال: ما هذه الجماعة، فقالوا: الأسد قد قطع الطريق عليهم فنزل عن دابته ومشى إليه فأخذ بأذنه ونحاه عن الطريق، ولا يخفى ما وقع للإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم حيث روي أن المتوكل أمر خدام السباع أن يجوعوا منها ثلاثة ويحضروهم إلى قصره ففعلوا وقعد هو في المنظرة مع أصحابه وأغلق الدرج، وبعث إلى الإمام علي الرضا حتى يحضر وأمر أنه إذا دخل من باب القصر يغلق الباب، فلما دخل أغلق الباب ودخل بين السباع وقد أصمّت بزئيرها الأسماع فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشت إليه السباع وقد سكتت وما سمع لها حس حتى تمسحت به ودارت حوله وهو يمسح رءوسها بكمه ثم ضربت السباع بصدرها الأرض وربضت، فما هاجت ولا زأرت حتى صعد الدرجة وتحدث عند المتوكل مليًا ثم نزل ففعلت السباع كفعلها الأول وربضت وما سمع لها حس ولا زئير حتى خرج الإمام رضي الله عنه، وقال أويس القرني لهرم بن حيان حين سلم عليه: «وعليك

السلام يا هرم بن حيان» ولم يكن رءاه قبل ذلك، وهذا من باب الكشف وهو من الكرامات.

ولا يخفى ما حصل لشيخ العريجا السيد الجليل أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه ما أخبر به الإمام الرافعي من أن امرأة وضعت بنتًا لها حدباء، فلما كبرت وءان أوان مشيها إذا بها عرجاء، ثم سقط شعر رأسها لعاهة، ففي يوم من الأيام حضر السيد أحمد الكبير محلة الحدادية حيث البنت فاستقبله أهلها والعرجاء فاطمة بين الناس وبنات الحدادية يستهزئن بها، فلما أقبلت قالت للسيد أحمد رضي الله عنه: أي سيدي أنت شيخي وشيخ والدتي وذخري أشكو إليك ما أنا فيه لعل الله ببركة ولايتك وقرابتك من رسول الله ﷺ أن يعافيني مما أنا فيه فقد زهقت (تعبت) روحي من استهزاء بنات الحدادية. فأخذته الشفقة عليها وبكى رحمة لحالها ثم ناداها: ادني مني فدنت منه ووضع شيئًا من ردائه عليها ومسح بيده المباركة على رأسها وظهرها ورجليها فنبت بإذن الله شعرها وذهب احديدابها وتقومت رجلاها وحَسُنَ حالها. وكراماته كثيرة رضي الله عنه.

وفي هذا القدر كفاية لبلوغ المقصود ونيل المرام ولو أردنا الزيادة لأطلنا.

فصل
في ذكر سند القوم وخرقتهم

ومما يناسب ذكره في سند القوم وخرقتهم ما نقلناه من كتاب «العقيدة الحقة» ونذكره في هذا الفصل لما فيه من البيان والوضوح في إثبات صحة انتماء هذه الطائفة الصوفية الشريفة، ووقوع الإجماع على قبول طريقتهم، وفيه مباحث جليلة وجمل جميلة: (بتصرف)

يقول مؤلف العقيدة الحقة:

لا يخفى على ذوي الأفهام من الأمراء والحكام والعلماء الأعلام بل والخواص أن الأمة أجمعت على قبول طريق الإمام الجنيد بن محمد البغدادي القواريري شيخ الصوفية ورأس الجماعة فأرشدوا إلى تقليده في الطريق.

قال العلامة الشيخ عبد السلام اللقاني في شرح المنظومة المسماة بـ (إرشاد المريد) الذي ضمنه مختار أهل السنة مالك بن أنس وباقي الأئمة المعهودين، يعني أئمة المسلمين كأبي عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي، وأبي حنيفة النعمان بن ثابت، وأبي عبد الله أحمد بن حنبل، ثم قال: مثل من ذكر في الهداية واستقامة الطريق أبو القاسم بن محمد الجنيد الزاهد سيد الصوفية علمًا وعملاً وكان على مذهب أبي ثور صاحب الشافعي رضي الله عنه وكذا أصحابه، هداة هذه الأمة التي هي خير الأمم منهم خيارها بعد الصحابة ومن معهم.

ومن المعلوم أن المتَّبَع في الأصول إنما هو المعصوم ﷺ وهؤلاء الأئمةُ رضيَ الله تعالى عنهم جاؤوا فقرروا أحكام الشريعة ودلّوا الأمة على طريق النبي عليه الصلاة والسلام فأجمعت الأمة على الأخذ بمذاهبهم والاقتداء بهم ومنهم سيد الطائفة الصوفية الجنيد أبو القاسم رضي الله عنه وسند خرقته ينتهي من طريق الإمام الحسن البصري إلى الإمام أمير المؤمنين سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه وكرّم الله وجهه فهل لو كان منقطع السند أو هل لو كانت أذكاره وفروع طريقته المباركة لا أصل لها في الدين يمكن أن يحصل الإجماع على قبول طريقته، وقد نرى أن طرق الصوفية رضي الله عنهم تنتهي أسانيدها بالوثائق التي لا تقبل النزاع إليه رضي الله عنه.

والذي عرف يعلم أن طريق القوم العمل بالكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا، وأما من يظن أن التصوف غير ذلك فأنكره فقد انصرف مع بوائق الزيغ والابتداع وجحد حقوق أناس طهرت سرائرهم، وأضاءت بنور الهدي المحمدي بصائرهم، هجروا المألوفات، وأقبلوا على الله بخالص النيات، وانطوى في مشربهم حال النبي ﷺ وأدبه وخلُقه ومشربه أولئك أهل الصفوة الأولى من عاداهم فقد عادى الله وباء بخزي من الله، كيف لا وهم أهل الله عليهم رضوان الله، وليتدبر كيف قال تعالى في حق أهل العمى القلبي والبعد الكلي ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾ [سورة الكهف].

فإذا لمع نور الإيمان في القلب اندفعت ظلمات الشكوك وانمحق سوء الظن من الخاطر بالخلق، ووقف النظر عن السقوط إلى ما يشين الخُلق، وانصرف إلى ما يستحسن إلا إذا قامت الحجة القاطعة الحقة فلا محيص عن الحق وهناك أيضًا فأساليب الشرع الشريف معلومة يعرفها العارفون ويجهلها الجاهلون ويحيد عنها حقدًا الضالون، ومن هذا التفصيل علمنا أن طرق الشرع مع اختلاف جهاتها فالغاية منها واحدة فمن فَرَّق كلمة المسلمين بجهله أو حاد بهم عن الطريق بكفره وضلاله فهو من المغضوب عليهم الضالين ولا عُدوان إلا على الظالمين، وقد وقع الإجماع على ترجيح تقليد الجنيد في مذهب التصوف كباقي الأئمة رجال المذاهب رضي الله عنهم أجمعين حتى ابن تيمية على ما فيه من الكفر والزيغ والمخالفة للقوم قال عن الجنيد: «إنه إمام هدى» قاله في شرح حديث النزول، وهذا التقليد لا شك هو في فروع المعارف الروحية والمعاني الذوقية وطرقها وأساليبها وعادات أهلها في رياضاتهم وأعمالهم وأحوالهم وإلا ففي أصول تلك الحقائق فالمتَّبَعُ هو رسول الله ﷺ وحيث رجح رجال الإجماع أهل الحل والعقد أعيان العلماء والصلحاء تقليد الإمام الجنيد في فروع مذهبه الروحي فقد صححوا قبولا وإجماعًا سند خرقته وقالوا باتباعه وأخذ هذا السند عنه كما وقع ولم يستثن ذلك مستثن قط وإن تكلم في ذلك الكثير من المتأخرين ومن رجال أواسط القرون الماضية فذلك لا ينافي صحة سنده بعد الإجماع على قبول طريقته في الأول والآخر والباطن والظاهر، وقد انتظم بسلكه العالي

الأعاظم من العلماء والمحدثين والجم الغفير من أكابر رجال الدين ورجال الطريق، وقد لبس الخرقة من خاله الإمام السري السقطي وهو من الشيخ الكبير معروف الكرخي وهو من الشيخ داوود الطائي وهو من الشيخ حبيب العجمي وهو من الإمام الحسن البصري وهو من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وهنا نزاع البعض وهو نزاع زائد وسيأتي الكلام عليه، وهناك طريق ءاخر وهو أن الشيخ معروفًا الكرخي لبس الخرقة من الإمام علي الرضا وهو من أبيه الإمام موسى الكاظم وهو من أبيه الإمام جعفر الصادق وهو من أبيه الإمام محمد الباقر وهو من أبيه الإمام زين العابدين علي وهو من أبيه الإمام الحسين شهيد كربلاء وهو من أبيه أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي المرتضى عليهم جميعًا رضوان الله تعالى وتحياته وسلامة وهذا السند لا نزاع فيه فليتدبر وإن لم يكن القائلون بصحة أخذ الإمام الحسن البصري عن الإمام علي رضي الله عنه إلا رجال هذا السند لكفى فإنهم لم يختلف بجلالة قدرهم وصدقهم وعلو منزلتهم في العلم والعمل اثنان، مع ما يشهد لصحة أخذ الإمام الحسن البصري طيب الله مرقده الشريف عن سيدنا أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله وجهه ورضي الله عنه من البراهين الساطعة التي لا تدافع فما ثم هنالك إلا نافية بلا حجة فكيف تدفع مثبتة أيَّدتها الحجة القاطعة كلا لا يكون ذلك مطلقًا إذ الحق أحق أن يُتَّبع.

قال الإمام العلامة الشيخ ضياء الدين أحمد الوتري الشافعي

البغدادي قدس الله سره وروحه في كتابه (روضة الناظرين) ما نصه: إن خرقة الصوفية رضي الله عنهم تتصل بالخليفة الرابع أسد الملاحم والمعامع، شيخ أئمة الآل، فحل الرجال، صهر رسول الثقلين والد الريحانتين، إمام المشارق والمغارب، أمير المؤمنين أسد الله سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه وقد ندر اتصال خرقة بغيره وكلهم على هدى يتصلون بسيد المخلوقين حبيب رب العالمين ﷺ، ولا يلتفت لما يقوله البعض في شأن خرقة الصوفية إن ذلك قد نشأ عن هفوات لا تعتبر ولا يبنى عليها الشك بعد اليقين بصحة الخبر قلت: وقد نقل الوتري عن الإمام التقي الواسطي طاب ثراهما أنه قال: خرقة القوم أهل الطريقة الواصلين بعرفانهم إلى الحقيقة تتصل بالأسانيد المرضية إلى سيد البرية ﷺ لا يقدح باتصالها إلا الحاسد أو المكابر المعاند فإنهم أخذوها عن الثقات الأئمة المقتدى بهم في هذه الأمة الذين اشتهر صدقهم وصلاحهم وظهر في الأكوان مجدهم وفلاحهم وبلغ ذلك بين هؤلاء السادات مبلغ التواتر القطعي الذي لا يمتري فيه عالم ولا يحمحم به عاقل من العناد سالم تلقَّاها خلفهم الناجح عن سلفهم الصالح انتهى، وقال الوتري قدس سره: إن شيخ أهل الخرقة على الحقيقة هو الإمام العارف مقتدى أئمة الطوائف وارث السر وناصر الشرع النبوي الإمام الكبير أبو سعيد سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه لبس الخرقة من الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه، قال سفيان الثوري رضي الله عنه: فالحسن البصري أجلّ أصحاب علي بن أبي

طالب عليه السلام انتهى. ثم قال الوتري رحمه الله تعالى في الحسن البصري: شاعت علومه وكراماته في أقطار الدنيا كان ليلة قتل علي كرم الله وجهه يصلّي خلفه، وهو رأس الفقهاء بعد العبادلة رضي الله عنهم. وقال أيضًا: حدَّث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن أحسن الحسن الخلق الحسن» ضعيف جدًا، ثم قال: مكان الحسن البصري يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس إلا الحسن وأفقه الناس إلا الحسن وأفصح الناس إلا الحسن، شهد مقتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن أربع عشرة سنة وشب في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه انتهى.

وقال الإمام العلامة الشيخ علي برهان الدين القاهري الحلبي صاحب كتاب السيرة في كتابه النصيحة في بيان حسن الطريقة الأحمدية ما نصه: أقول والمشهور المحفوظ أن الحسن البصري إنما لبس الخرقة من سيدنا علي بن أبي طالب لكن نُوزع في اجتماعه بسيدنا علي وصحح الجلال السيوطي ثبوت اجتماعه به قلت: صحح السيوطي اجتماع الحسن بسيدنا علي وصحح تلقيّه وأخذه عنه في كتابه الذي سماه (رفُوا الخرقة) وفيه ما يكفي.

وقد سئل مفتي المدينة المنورة السيد أسعد طاب ثراه المتوفى سنة ست عشرة ومائة بعد الألف عن صحة سند الصوفية رضي الله عنهم في الخرقة فأجاب بما نصه: الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى سند القوم في الخرقة صحيح أثبته جماعة من الحفّاظ ورجّحه خلائق وممن رجحه الحافظ ضياء

الدين المقدسي فقال في المختارة: قال الحسن بن الحسن البصري عن علي، وإلى هذا ذهب الحافظ السيوطي وهو الصحيح لأن العلماء ذكروا في الأصول أن المثبت مقدم على النافي لأن معه زيادة علم وأبوة الطريق صحيحة فقد ورد في الخبر فيما أثر عن غير النبي: «الآباء ثلاثة أب ولدك وأب علمك وأب رباك» ولله در من قال:

أرى فضل أستاذي على فضل والدي وإن زاد في بر وإن زاد في تحف
فهذا مربي العقل والعقل جوهر وهذا مربي الجسم والجسم من صدف

وقد أخذ الحسن البصري وهو شيخ خرقة الصوفية عن علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه بلا ريب فإنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر الفاروق رضي الله عنه باتفاق كانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه فممن بارك عليه عمر رضي الله عنه ودعا له فقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس، ذكره الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب وأخرجه العسكري في كتاب المواعظ بسنده، وحضر الحسن شهادة عثمان رضي الله عنه وعمره أربعة عشرة سنة قال الحافظ السيوطي: كان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان رضي الله عنه إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه إذ ذاك بالمدينة فإنه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين ميّز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة، وزيادة على ذلك أن عليًا رضي الله عنه كان يزور أمهات المؤمنين ومنهن أم سلمة والحسن في بيتها هو وأمه، وروى الحافظ السيوطي عن الإمام

أحمد في مسنده أنه قال حدثنا هشيم أخبرنا يونس عن الحسن عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «**رفع القلم عن ثلاثة عن الصغير حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المصاب حتى يكشف عنه**» أخرجه الترمذي وحسّنه النسائي والحاكم صححه والضياء المقدسي في المختارة، قال الحسن: رأيت الزبير يبايع عليًّا ذكر ذلك الحافظ الزين العراقي وروى مثله أبو زرعة، وذكر الطحاوي والدارقطني وأبو نعيم في الحلية عدة أحاديث من طريق الحسن عن علي رضي الله عنه قال: كفّنت النبي ﷺ في ثوبين وبُرد حبرة، وفي حديث عقبة بن أبي الصهباء الباهلي قال: سمعت الحسن يقول: سمعت عليًّا يقول: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر» الحديث، قال محمد بن الحسن بن البصير في هذا نص صريح في سماع الحسن من علي ورجاله ثقات قال كل ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى وبسند الحافظ أبي بكر بن مسندي إلى القصار قال: صافحت الحسن البصري قال: صافحت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: صافحت رسول الله ﷺ قال «صافحت كفي هذه سراداقات عرش ربي عز وجل»، وبطريق الاستئناس ذكر جماعة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليًّا كرم الله وجهه ألبسا أويسًا القرني خرقة بإذن نبوي، وفي حديث أم خالد قالت: أُوتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: «من ترون أكسو هذه» فسكت القوم فقال رسول الله ﷺ: «إيتوني بأم خالد» قالت: فأُتي بها فألبسنيها بيده وقال: «**أبلي وأخلقي**» يقولها مرتين وجعل ينظر إلى عَلَمَ في الخميصة أصفر

وأحمر ويقول «يا أُم خالد هذا سناه» والسنا هو الحسن بلسان الحبشة وعلى هذا فسند خرقة القوم وطريق مصافحتهم كلاهما صحيح رضي الله عنهم ونفعنا بهم والمسلمين انتهى.

وقال شيخنا علامة الزمان وأستاذ العصر والأوان القطب الفرد الجامع الرصين الأساس سيدنا بهاء الدين مهدي ءال خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس رضي الله عنه في كتابه (رفرف العناية) ما نصه: وقد تعين عندنا من هذه الطريقة الصحبة ولبس الخرقة ولا عبرة بإنكار بعض الأفاضل أو جُلّهم فإن رجال الأخبار كثر اختلافهم وقلّ فيما يباين مشاربهم ائتلافهم وكفى حجة للقوم وإطباق الصالحين والزاهدين والمتمكين في أمري الحقيقة والشريعة على هذا وناهيك بالإمام الجنيد والأئمة الأعلام السري والكرخي والطائي وأشباههم رضي الله عنهم، وقد أنكر الكثير من الحفّاظ أخذ الإمام الحسن البصري وسماعه أيضًا عن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي الله عنه والحال أن الحافظ كمال الدين المزي ذكر في كتابه (تهذيب الكمال) و(الأطراف) مما أفنى عمره فيهما في ترجمة سيدنا الحسن البصري عند ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم فمنهم عقيل بن أبي طالب وأخوه علي ولم يحك فيه خلافًا، وعلى كل من شيوخ الحسن رمز الترمذي والنسائي على أخذه عن عقيل رضي الله عنه سلام الله ورضوانه عليه رمز الترمذي والنسائي، وعلى أخذه عن عقيل رضي الله عنه رمز النسائي وابن ماجه ومما روي عنه من طريق سيدنا علي «**أفطر الحاجم والمحجوم**» رواه النسائي خاصة، وحديث «**رفع القلم عن ثلاثة**»

من طريق عليّ كرّم الله وجهه رواه عنه الترمذي والنسائي قال محمد بن موسى الجرشي: أنبأنا ثمامة بن عبيدة قال: حدثنا عطية ابن محارب عن يونس عن عبيد قال: سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد إنك تقول قال رسول الله ﷺ فإنك لم تدركه قال: يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من قبلك ولولا منزلتك ما أخبرتك إني في زمان كما ترى - وكان في زمن الحجاج - كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني لا أستطيع أن أذكر عليًا. انتهى. وقد أثبت الجلال السيوطي طاب ثراه سماع الحسن البصري وأخذه عن سيدنا علي، واتفق الحفاظ على أخذ الحبيب العجمي بل وأيوب السختياني ويونس بن عبيد وعبد الله بن عوف ومحمد بن واسع ومالك بن دينار وفرقد السنجي وغيرهم من عُبَّاد البصرة عن الإمام الحسن البصري، وعلى هذا فإطباق القوم وإجماعهم على صحة هذا الاتصال لا ينقض بإنكار غيرهم وقد جاء عن النبي ﷺ «من تشبه بقوم فهو منهم» وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم فقال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**» رواه البخاري، وقد أخذنا سند الخرقة بقصد التزيي بزي رسول الله ﷺ بالأسانيد الصحيحة التي ضبطها الحفاظ أمناء الرسل علماء المسلمين حفظة الحديث ورجاله رضي الله عنهم فإن الخرقة أعني الزِّي الذي أختاره السادة الرفاعية ومضوا عليه خلفًا بعد سلف إنما هو العمامة السوداء مرسلة الطرف واختارها بعضهم بغير إرسال قال شيخ الإسلام النووي رحمه الله في

(شرح المهذب): يجوزُ لبس العمامة بإرسال طرفها وبغير إرساله ولا كراهية في واحد منهما ولم يصح في النهي عن ترك إرسالها شيء وصح في الإرخاء حديث عمر بن عبيد حيث قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه رواه مسلم انتهى، وأسند الحافظ أبو موسى المدني في كتابِ السنةِ في سدلِ العمامةِ عن أبي داود الطيالسي قال الأشعث بن سعيد عن عبد الله بن بشر عن أبي راشد الحبراني عن علي رضي الله عنه قال: عممني رسول الله ﷺ يوم غدير خم بعمامة سدلها من خلفي ثم قال: «**إن الله عز وجل أمَّدني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمامة**» وقال: «**إن العمامة حاجز بين الكفر والإيمان**»، وأسند عن عبد الله بن بسر عن حكيم العنسي قال: دعا النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه فعممه بعمامة سوداء وأرسلها من خلفه ثم قال: «**هكذا فاعتموا حاجز المسلمين والمشركين العمائم**»، وأسند الطبراني من طريق عبيد الله بن تمام عن أبي موسى رضي الله عنه أن جبريل أقبل على النبي ﷺ وعليه عمامة سوداء قد أرخى ذؤابته من ورائه، روى المديني عن وكيع عن سلمة بن وردان قال: رأيت على أنس بن مالك رضي الله عنه عمامة سوداء على غير قلنسوة وقد أرخاها من خلفه، وقال: ذكر إسماعيل بن يزيد القطان عن خالد ابن عبد الرحمٰن القرشي عن عاصم بن عمر العمري عن أبيه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه رأى عليه عمامة سوداء أسدلها من خلفه قدر ذراع، وقال عبد الله بن بسر رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى

خيبر فعممه بعمامة سوداء أرسلها من ورائه أو قال على كتفه اليسرى، ومن هذه الأخبار النبوية الصادقة أن رسول الله ﷺ عمم عليًا المرتضى سلام الله ورضوانه عليه بعمامة سوداء ثم قال: «**هكذا فاعتموا**» الحديث، وقد كان رسول الله ﷺ في يوم فتح مكة معتمًا بعمامة سوداء بل كان كثيرًا ما يعتم بالسواد كل ذلك إشارة لسيادته ودوام سؤدده وبقاء دينه، وقد أمر عليًا بهذا وعلي أمر أصحابه ومنهم الحسن البصري وعن البصري أخذ أصحابه وتسلسل هذا حتى اتصل بسنده متدليًا إلى الإمام شيخ الطريق مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه ومنه والحمد لله بالسند الوثيق والطريق الحقيق لنا ومنا وإن شاء الله لمن لحقته بيعتنا في طريقة الله تعالى وسندنا معلوم تلقاه رجالنا كابرًا عن كابر عن النبي ﷺ: انتهى كلامه الشريف بنصه وحروفه.

وقال الإمام ابن الصلاح: إن من القُرب لبس الخرقة وقد استخرج لها بعض المشايخ أصلاً من السنة وهو حديث أم خالد رضي الله عنها قالت: أُتِي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال «**اتوني بأم خالد**» فأُتي بي قالت: فألبسنيها بيده وقال: «**أَبْلي وأَخْلِقِي**» ومعنى أبلي دعاء بطول الانتفاع بالثوب وهو مخرَّج في الصحيح، قال ابن الصلاح: وفي الخرقة إسناد عال جدًا وذكره ثم قال: وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة غير متصل إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث في الأسانيد فإن المراد ما تحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من الصالحين، انتهى كلامه.

لا يخفى أن الأسانيد المتصلة بلبس الخرقة لما ثبت أصلها في السنة من وجوه وأهمها العمامة السوداء ووردت فيها الأخبار الصحيحة التي لا تدافع وعليها مشى ءال رسول الله ﷺ ومنهم أئمة العترة وهم سادة الناس وقادتها وعنهم أخذ أئمة الطريق بوثائقهم الصحيحة فما بقي القول باتصالها بالصالحين وعدم اتصالها على شرط أصحاب الحديث بالأسانيد إلى النبي ﷺ إلا من الغفول عن الأخبار والأحاديث الصحيحة التي وردت في العمامة السوداء وقد ذكرناها، نعم إن إنكار البعض من الحفّاظ للبس الخرقة الذي جرى عليه جماعة من الصوفية على هذا الوجه لم يثبت اتصاله بالسند إلى النبي ﷺ ولم يرد في ذلك خبر صحيح ولا ضعيف حكى كل ذلك ابن حجر والقسطلاني وأبو الخير السخاوي والذهبي والعراقي والعلائي حتى إنهم أنكروا سماع الحسن البصري عن الإمام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وقالوا: ورد لبسهم للخرقة وإلباسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى ابن قعود والى كميل بن زياد وهما صحبا الإمام عليًا بن أبي طالب كرم الله وجهه ولا خلاف في صحبة كميل ابن زياد له بين أئمة الجرح والتعديل قال القسطلاني: وفي الطرق اتصالها بأويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وبعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن فيها، وقال العلامة العارف بالله الشعراني في كتاب الخرقة: وقد لبس أُويس ثوب سيدنا عمر ورداء سيدنا علي رضي الله عنهما، وخلاصة ما يراد أن خرقة السادة الصوفية ذات أصل في السنة ثابت ورجالها الأئمة الذين ثبتت لهم المعالي في الأمة ولبس

الخرقة الذي أنكره الحفاظ الذين سبق ذكرهم على الوجه المتعارف عند بعض الصوفية إلباس جبة وطاقية هو لا شك غير متصل الأسانيد بالنبي ﷺ على هذا الوجه فالحفّاظ الكرام الذين أنكروا هذا الوجه المتعارف قولهم حق وما ذهبوا إليه صدق إلا أن خرقة السادة الرفاعية رضي الله تعالى عنهم لا مجال لهم ولا لغيرهم إنكارها وهي العمامة السوداء واتصال السند بالنبي ﷺ فيها سبق ذكره، وإلباسه العمامة السوداء لعلي أمير المؤمنين كرّم الله وجهه ثابت في الصحاح، وأمره له ولأصحابه بعد إلباسه إيّاها بنص «هكذا فاعتموا»، ومما لا نزاع فيه وطريق خرقة الصوفية عن الجنيد عن السري عن الكرخي وله طريقان كما سبق فطريقة المتصل بالحسن البصري، وسماع بل وأخذ الحسن عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه صححه جلة من الحفاظ والمثبتة مقدمة على النافية، وعلى هذا اطباق القوم وطريق الكرخي عن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم عن أبيه إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه طريق لا مجال للنزاع فيه ولا باتصال أسانيده وقد ثبت هذا بالبراهين وقال به الأعيان من الحفاظ المحققين وأكابر علماء الدين، وقد ذكر بعض الأئمة لبس الحسن البصري عن كميل بن زياد القوم الذين برأهم الله من اللوم بصاحب النور المبين سيد المرسلين عليه أفضل صلوات البر المعين والحمد لله رب العالمين. ا.هـ.

مشايخ الصوفية علماء أولياء

اعلم أن الإمام الجنيد البغدادي هو الذي بيّن مذهب أهل التصوف وبنى طريقًا يوصل الناس إليهم وهو أخذ الطريقة ولبس الخرقة من خاله السري السقطي الذي أخذها من شيخه معروف الكرخي الذي أخذها ولبسها من شيخه داود الطائي وهو أخذها من الحسن البصري الذي أخذ الطريقة ولبس الخرقة من الإمام الغضنفر والسيد الأشهر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الذي أخذ العلوم والأسرار والمعرفة والأنوار من سيدنا محمد ﷺ.

العارف بالله الحسن البصري رضي الله عنه:

واعلم أن شيخهم في الخرقة والطريقة وأستاذهم في البيعة والوثيقة الإمام الورع الزاهد السيد السند البطل المجاهد الشجاع، ومقتدى أكابر أهل الله العارفين، المرشد الأكمل شيخ الكل في الكل رئيس الطوائف إمام كل عارف خليفة ابن عم النبي القرشي ووارث مضمر العلم إمام العلماء الصوفية سيدنا أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار بن مطهر بن غاضرة بن قرهد وقيل فرهد (بالفاء) العوفي البصري رضي الله عنه والده أبو الحسن يسار من سبي ميسان وهي كورة واسعة عظيمة القرى والنخل بين البصرة وواسط من أرض العراق، سكن المدينة المنورة وكان مملوكًا فأعتق وبقي في المدينة، وتزوج فيها وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه. وولد له الحسن في المدينة، لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه. كان الحسن البصري رضي الله عنه إمامًا في الفقه والحديث والتفسير وعلوم القرءان

واللغة والأدب والبلاغة والتصوف. لبس الخرقة من الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه كما صحح ذلك الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله. وقد أطبق القوم على أن إمام طريق التصوف من التابعين الحسن البصري رضي الله عنه، وقد انتهت إليه أسانيد الصوفية على الغالب. قال محمد ابن الحسن: كان الحسن البصري قدوة وإمامًا في الشريعة والطريقة والسنة. وقال غيره: من أحب اتباع سنة رسول الله ﷺ والعمل بما كان عليه أصحابه، فليقتد بالحسن. وكان الحسن يقول: من لبس الصوف تواضعًا لله زاده الله نورًا في بصره وقلبه، ومن لبسه إظهارًا للزهد في الدنيا والتكبر به على الإخوان في نفسه، كوّر في جهنم مع الشياطين. وكان يقول: ما كل الناس يصلح للبس الصوف لأنه يطلب صفاءً ومراقبة لله عزّ وجل. وقيل له مرة: ما سبب لباسك الصوف فسكت فقيل له: ألا تجيب؟ فقال: إن قلت زهدًا في الدنيا زكيت نفسي.

وقد صحح الجلال السيوطي ثبوت اجتماع الحسن البصري بسيدنا الإمام علي وتلقيه عنه وأخذه منه في كتابه المسمى «رفوا الخرقة».

العارف بالله داود بن نصير الطائي رضي الله عنه:

وهو من أكابر القوم الأعيان وأشياخ الطريق أهل العرفان، مولانا الإمام الكبير، والزاهد العارف الشهير، خليفة الحسن البصري الإمام أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي رضي الله عنه. قال الخطيب في تاريخه: داود بن نصير أبو سليمان

الطائي الكوفي، سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى. وروى عنه إسمٰعيل ابن عليّة، ومصعب بن المقدام، وأبو نعيم الفضل بن دُكين. وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيرَه من العلوم ثم اختار بعد ذلك العُزلة، وءاثر الانفراد والخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى ءاخر عمره. قال أبو سليمان الداراني: ورث داود الطائي من أمه دارًا فكان ينتقل في بيوت الدار كلما تخرّب بيت من الدار انتقل منه إلى ءاخر ولم يعمره، حتى أتى على عامة بيوت الدار. قال: وورث من أبيه دنانير فكان يتقوت بها حتى كُفّن بآخرها.

وقال داود مرة: إن كنت لا أشرب إلا باردًا ولا ءاكل إلا طيبًا ولا ألبس إلا لينًا فما أبقيت لآخرتي؟!

وقال: صُمْ الدنيا، واجعل إفطارَك الموتَ، وصاحب أهل التقوى ولا تدع الجماعة.

معروف بن الفيرزان الكرخي رضي الله عنه:

من أكابر القوم العارفين، السالك طريق سيد المرسلين، الزاهد الذي انتهت إليه رئاسة الطريق، خليفة القطب أبو سليمان داود الطائي المعروف، يكنى أبا محفوظ، وهو منسوب إلى كرخ بغداد. أسند عن معروف بن بكر بن خنيس وعبد الله بن موسى وابن السماك.

قال أخوه عيسى: كنت أنا وأخي معروف في الكتّاب وكنا

نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان أب وابن، فيصيح أخي معروف: أحدٌ أحد، فيضربه المعلم على ذلك ضربًا شديدًا، حتى ضربه يومًا ضربًا عظيمًا فهرب على وجهه. فكانت أمي تقول: لئن ردَّ الله عليَّ ابني معروفًا لأتبعنه على أي دين كان. فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له: يا بُني على أي دين أنت؟ قال: على دين الإسلام. قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله فأسلمت أمي، وأسلمنا كلنا.

عن يحيى بن جعفر، قال: رأيت معروفًا يؤذن فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، رأيت شعر لحيته وصدغه قائمًا كأنه زرع.

وعن عمرو بن موسى، قال: سمعت معروفًا يقول وعنده رجل يذكر رجلاً فجعل يغتابه فجعل معروف يقول له: «أذكر القطن إذا وضعوه على عينيك، أذكر القطن إذا وضعوه على عينيك».

وقال سري: سألت معروفًا عن الطائعين بأي شيء قدروا على الطاعة لله عز وجل؟، قال: بخروج الدنيا من قلوبهم.

وعن إبراهيم البكار، قال: سمعت معروفًا الكرخي يقول: إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد به شرًا أغلق عليه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل.

وقال مرة: ما أبالي رأيت امرأة أو رأيت حائطًا.

فكان رضي الله عنه سيدًا من السادات الأجلاء، وشيخًا عظيمًا مبجلاً، وكان كلامُه حِكَمًا وعبرًا، كلامه في الزهد والتصوف أخذ

بالقلوب، وأثرت مواعظه في أفئدة الرجال، ترى في كلامه عباراتِ إنسان عاقل فطن أخذته الشفقة على الخلق فمِن ذلك ما روي عن إبراهيم الأطروش قال: كان معروف قاعدًا على دجلة ببغداد إذ مرّ بنا أحداث في زورق يضربون الملاهي ويشربون، فقال له أصحابه: أما ترى أن هؤلاء في هذا الماء يعصون الله ادعُ الله عليهم فرفع يديه إلى السماء، وقال: إلٰهي وسيدي أسألك أن تفرحهم في الآخرة كما فرحتهم في الدنيا، فقال له أصحابه: إنما قلنا لك: ادع الله عليهم لم نقل لك ادع الله لهم، فقال: إذا أفرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم بشيء.

وما يدل على عِظَم شأن هذا الشيخ الكبير ما قاله تلميذُه السري: هذا الذي أنا فيه من بركات معروف انصرفت من صلاة العيد فرأيت مع معروف صبيا شعثًا، فقلت: من هذا؟ قال: رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر فسألتُه: لِمَ لا تلعب؟ قال: أنا يتيم، قال سري: فقلت له: فما ترى أنك تعمل به؟ قال: لعلي أخلو فأجمع له نوى يشتري بها جوزًا يَفرح به، فقلت له: أعطنيه أغير من حاله، فقال لي: أوَ تفعل؟ فقلت: نعم، فقال لي: خذه أغنى الله قلبك، فسويت الدنيا عندي بأقل من كذا.

وكراماتُه رضي الله عنه كثيرة، فمنها ما رواه خليل الصياد قال: غاب ابني إلى الأنبار فوجدَتْ أمه وجدًا شديدًا فأتيت معروفًا فقلت له: يا أبا محفوظ ابني قد غاب فوجدت أمه وجدًا شديدًا، قال: فما تشاء؟ قلت: تدعو الله أن يرده عليها فقال: اللهم إن السماءَ سماؤك، والأرضَ أرضُك، وما بينهما لك، فأتِ به. قال خليل:

فأتيت باب الشام فإذا ابني منبهر، فقلت: يا محمد أين كنت؟ فقال: يا أبتِ الساعةَ كنت بالأنبار.

وعن أبي بكر الزَجّاج، قال: قيل لمعروف الكرخي في عِلّته: أَوص، فقال: إذا متُّ فتصدقوا بقميصي هذا فإني أُحب أن أخرج من الدنيا عريانًا كما دخلت إليها عريانًا.

توفي رضي الله عنه ببغداد وقبره ظاهر، ويُستسقى به ويُتبرك، وهو محل إجابة الدعاء كما هو مشهور. وكان إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجرب، أي لإجابة الدعوة.

العارف بالله سرّي السقطي رضي الله عنه:

هو الإمام الهمام المعروف بطبيب الغذاء وتصفية القلوب، أبو الحسن سرّي بن المغلس السقَطي خالُ الجنيد وأستاذه؛ وهو تلميذ معروف الكرخي. كان وحيدَ زمانه وفريدَ دهره في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد.

قال العباس بن مسروق: بلغني أن السري كان يتجر في السوق وهو من أصحاب معروف الكرخي؛ فجاء معروف يومًا ومعه صبي يتيم؛ فقال له: أكْسُ هذا اليتيم قال السري: فكسوته، ففرح به معروف وقال: بغّضَ الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه. فقمت من الحانوت وليس شيءٌ أبغض إليّ من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف.

يقول الجنيد: ما رأيت أعبدَ من السري، أتت عليه ثمانٌ وتسعون سنة ما رؤي مضطجعًا إلا في علة الموت.

ويروى أنه قال: إنني أنظر إلى أنفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود وخوفًا من الله أن يُسود صورتي لما أفعله.

وقال الجنيد: سمعت السري يقول: أعرف طريقًا مختصرًا قصدًا إلى الجنة، فقلت: ما هو؟ فقال: لا تسأل من أحدٍ شيئًا، ولا تأخذ من أحدٍ شيئًا، ولا يكن معك شيء تعطي منه أحدًا.

قال الجنيد: دخلت على السري السقطي وهو يبكي فقلت له: وما يبكيك؟ فقال: جاءتني البارحة الصبية فقالت: يا أبتِ هذه ليلة حارة وهذا الكوز أعلقه ههنا ثم إنه غلبتني عيناي فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت: لِمن أنت، فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، ثم رفسته برجلها فكسرته، قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه حتى عفا عليه التراب انتهى ما قاله القشيري.

وقال علي بن الحسين بن حرب: بعث بي أبي إلى السري بشيء من طبِّ السعال (لسعال كان به) فقال لي: كم ثمنه؟ قلت له: لم يخبرني بشيء فقال: اقرأ عليه السلام وقل له: نحن نُعلّم الناس منذ خمسينَ سنة أن لا يأكلوا بأديانهم ترانا اليومَ نأكل بدِيننا.

وقال: لو أشفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقت السرور في معادها.

وقال: المغبون من فنيت أيامه بالتسويف.

وقال: احذر أن تكون ثناءًا منشورًا وعيبًا مستورًا.

وقال: التوكل الانخلاع عن الحول والقوة.

وقال أربع خصال ترفع العبد: العلم والأدب والعفة والأمانة.

وقال: تصفية العمل من الآفات أشد من العمل.

وقال: من استعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة.

وقال أبو بكر العطشي للسري السقطي: ماذا أراد أهل الجوع بالجوع، فقال: ماذا أراد أهل الشبع بالشبع، إن الجوع أورثهم الحِكم، وإن الشبع أورثهم الغم.

وقال: من لم يعرف قدر النعم سُلبها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

وقال: اجعل فقرك إلى الله تستغني به عمن سواه.

وقال أحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصلاح العيوب، وطاعة علام الغيوب، وجلاء الرين عن القلوب، وأن لا تكون لما تهوى ركوب.

وقال السري: أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد. فقيل له: ولِمَ؟

فقال: أخاف أن لا يقبلني قبري فأفتضح.

العارف بالله الجنيد البغدادي رضي الله عنه:

ومنهم الشيخ الإمام مقتدى الإسلام مفتي الفريقين وشيخ

الطائفتين أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي الأصل، البغدادي القواريري قال السبكي: سيد الطائفة ومقدم الجماعة وإمام أهل الخرقة وشيخ طريقة التصوف وعَلم الأولياء في زمانه، ويقول الرافعي: صحب خاله السري السقطي والحارث بن أسد المحاسبي وغيرهما من أجلة المشايخ.

وممن صحبه من أجلة العلماء أبو العباس بن شريح الفقيه، وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي.

وله رحمه الله كلام كثير في بيان طريق الصوفية. وكان يقول: طريقنا مقيد بالكتاب والسنة.

واشتهر عنه كرامات منها أن الشيخ كان يتكلم على الناس فوقف غلام نصراني متنكرًا وقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ: **«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى»** رواه الترمذي فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال له: أسلِم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام. والناس معتقدون أن هذا للجنيد كرامة واحدة وإنما فيه كرامتان إحداهما اطلاعه على كفر الغلام، والثانية اطلاعه على أنه سيسلم في الحال.

وكان الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه، والفلاسفة لدقة كلامه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه. وكان رضي الله عنه من صغره ناطقًا بالمعارف والحِكم حتى إن خاله السري سأل عن الشكر والجنيد يلعب مع الصغار فقال له: ما تقول يا غلام؟ قال: الشكر أن لا تستعين بنعمه على معاصيه.

واتفق العلماء على أن طريقة الإمام الجنيد طريقة متبعة، ومذهبه مذهب سالم. أخذ الطريقة ولبس الخرقة من يد خاله السرِي السقطي رضي الله عنه، وهو لبسها من يد الإمام معروف الكرخي، وهو لبسها من يد الإمام داود الطائي، وهو لبسها من يد الإمام الحسن البصري، وهو لبسها من يد سيد الأئمة وإمام الأمة سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما صحح ذلك السيوطي.

والسري السقطي خال الجنيد ترجمه العلماء والأولياء بالمكانة العظمى والمرتبة العليا، وقالوا: كان أوحدَ أهل زمانه في الورع والزهد والأحوال السنية وسائر مقامات الطريق؛ ونقل عنه كلام نفيس في علم التوحيد. وقال الجنيد: ما رأت عيني أعبدَ من السري وشيخ السري معروف بن فيروز الكرخي قال فيه علماء الشرع والطريقة إنه من أجلة مشايخ زمانه ورعًا وزهدًا وفتوة، ويستسقى بقبره إلى الآن. خدم الإمام علي بن موسى الرضى وكان من مواليه وتأدب بآدابه، وصحب داود الطائي، ولبس خرقته، وتخرج بصحبته وهو شيخ سلسلة القوم.

وإن الإمام الجنيد قدس سره ونفعنا به ورث هؤلاء الرجال، وشرح مضمر فضلهم، وكشف كنوز معارفهم، وجمع لهم مذهبًا، وبنى لهم طريقًا يتوصل الناس به إليهم رضي الله عنهم، قام نائبًا عن السلف وإمامًا للخلف، وإن مناقب الإمام الجنيد رضي الله عنه مثل السحابُ تتابعت أنواءه.

الأقطاب الأربعة

اعلم أن أصل الطرق المباركة واحد وهذه الفروع تنتهي إلى الأصل فلا فرق بين الطرق ومسالكها ومناهجها ورجالها وما أعذب ما قاله الشيخ القطب الجليل أبو الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه: (الكامل)

ظهروا ببرهان الرسول تسلسلاً حتى لعهد الأربع الأقطاب
ابن الرفاعي ثم عبد القادر الـ جيلي وابراهيم والعطاب

فإنهم أهل الهمم العلية والآداب القدسية، والمدارك الناجحة، والتجارة الرابحة، عرفوا حد البشرية، وما تجاوزوا مقام العبودية ولا حجبتهم الحجب المستعارة الفانية عما وراءها من الشؤونات الصحيحة الباقية فألجموا الألسن عن الكلام بغير الحق، وتبعهم على ذلك جم غفير من غني وفقير وخادم وأمير، فهم أعيان الأولياء وأقطاب العرفاء شهرتهم سارت شرقًا وغربًا وأتباعهم عجمًا وعربًا. وإننا تبركًا بآثارهم، وتشبهًا باتباعهم، (إن التشبه بالكرام فلاح) أتيت على ذكرهم وهم السادة أصحاب الطرق المشهورة والمسالك المنصورة. وهم سيدنا القطب العارف عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، وسيدنا القطب العارف إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه، وسيدنا العارف أحمد البدوي رضي الله عنه وسيدنا العارف أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه.

العارف بالله القطب الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه:

ومن أشياخ الخرقة وقادة الطريقة وسادات فرسان الحقيقة

الإمام العارف الرباني والغوث الكبير الباز الأشهب والطراز المذهب الجامع لأشتات المعاني شيخ الإسلام أبو محمد محي الدين عبد القادر بن أبي صالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن أمير المؤمنين علي عليه السلام رضوان الله عليهم أجمعين.

أخذ العلوم الشرعية والفنون الدينية حتى فاق أهل زمانه وتميز من بين أقرانه ولد بجيل، وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان. كان نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر، عريض اللحية، طويلاً أسمر، مقرون الحاجبين، ذا صوت جهوري، وسمت بهي، وقدر علي، وعلم وفيّ، رضي الله عنه، وكان يزدحم عليه الخلق، وكان الناس يأتون على الخيل والبغال والحمير والجمال يقفون بما وراء الحلقة والمجلس كالسور، وكان يحضر المجلس نحوًا من سبعين ألفًا، وكان إذا صعد الكرسي لا يتكلم أحدٌ هيبةً له، ومن بعض كراماته أن أقصى الناس في مجلسه يسمع صوته كما يسمع أدناهم منه على كثرتهم، وكان يتكلم على خواطر الناس ويواجههم بالكشف، وربما خطا في الهواء على رءوس الأشهاد، ثم يرجع إلى جلوسه على الكرسي، وكان يقول: اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تمزقوا، واصبروا ولا تجزعوا، وانتظروا الفرج ولا تيأسوا، واجتمعوا على ذكر الله ولا تفرقوا، وتطهروا بالتوبة عن الذنوب ولا تلَطخوا، وعن باب مولاكم لا تبرحوا.

وكان يقول قدس الله سره: كونوا بوابين على باب قلوبكم،

وأدخلوا ما يأمركم الله بإدخاله، وأخرجوا ما يأمركم الله بإخراجه، ولا تُدخِلوا الهوى قلوبَكم فتهلكوا، احذروا ولا تركنوا، وخافوا ولا تأمنوا، وفتشوا ولا تغفلوا فتطمئنوا ولا تضيفوا إلى أنفسكم حالا ولا مقامًا، ولا تدعوا شيئًا من ذلك، ولا تخبروا أحدًا بما يطلعكم الله عليه من الأحوال، فإن الله تعالى يحول بين المرء وقلبه، فيزيلكم عما أخبرتم الناس به، ويعزلكم عما تخيلتم ثباته، بل احفظوا ذلك ولا تتعدوا، فإن كان الثبات والبقاء فاشكروا الله عليه فإنه موهبةٌ منه.

وكان يقول قدس الله سره: إياكم أن تحبوا أحدًا أو تكرهوه إلا بعد عرض أفعاله على الكتاب والسنة كيلا تحبوه بالهوى وتُبغضوه بالهوى، واعلموا أنه لا يجوز لكم هجرُ أحد على الظن والتهمة.

وكان يقول: من علامة حب الآخرة الزهدُ في الدنيا، ومن علامة حب الله الزهدُ فيما سواه.

وهو شيخ الطريقة القادرية السنية الباهرة الإشراق، والتي عم ذكرها في الآفاق، وإليه ينتسب مشايخ هذه الطريقة البهية، أمدنا الله بأمداده النورانية.

العارف بالله القطب الشيخ أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه:

هو السيد الشريف مرشد الإسلام وصاحب منقبة تقبيل يد الرسول ﷺ سيدنا أبو العباس الشيخ أحمد الرفاعي الكبير.

ابن السيد السلطان علي أبي الحسن دفين بغداد، ابن السيد

يحيى المغربي، ابن السيد الثابت، ابن السيد الحازم وهو علي أبوا الفوارس، ابن السيد أحمد، ابن السيد علي ابن الحسن، ابن السيد أبي المكارم رفاعة الحسن المكي، ابن السيد المهدي، ابن السيد محمد أبي القاسم، ابن السيد الحسن، ابن السيد الحسين، ابن السيد موسى الثاني، ابن الإمام إبراهيم المرتضى، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الشهيد المظلوم الحسين السبط، ابن الإمام عَلم الإسلام زوج البتول أم الحسنين عليها السلام سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه.

شيخ الطريقة والحقيقة الإمام الكبير، والزاهد العارف القطب الغوث، سيدنا وملجؤنا ومفزعنا، أبو العلمين السيد الشريف أحمد الرفاعي الكبير، وارث مضمر العلم العلوي. أخذ الطريقة ولبس الخرقة عن الشيخ علي الواسطي القاري، وهو لبسها من الشيخ أبي بكر الشبلي، وهو لبسها عن أبي القاسم الجنيد البغدادي القواريري سيد الطائفتين، عن خاله السري السقطي، عن معروف الكرخي، عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري، عن الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه.

وكذلك أخذ الرفاعي الطريقة ولبس الخرقة من طريق ءاخر عن خاله الشيخ منصور البطائحي عن غيره، وصولا إلى الجنيد، عن السري السقطي، عن معروف الكرخي، عن علي الرضا، عن موسى الكاظم، عن جعفر الصادق، عن محمد الباقر، عن

زين العابدين علي بن الحسين، عن أبيه الشهيد المظلوم الحسين سبط رسول الله ﷺ، عن أبيه الليث الغضنفر سيدِنا علي الأكرم، زوج البتول رضي الله عنهم.

ولد رضي الله عنه في قرية حَسَن بالبطائح، درس القرءان العظيم وتلقى العلوم الدينية في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وحفِظ كتابَ التنبيه وشرحه شرحًا عظيمًا حتى صار عَلمًا وفقيهًا شافعيًا وعالمًا ربانيًا، وشمر للطاعة وجد في العبادة حتى رجع مشايخُه إليه وتأدب مؤدبوه بين يديه، ولقب بأبي العلمين أي علم الظاهر والباطن لِما أفاض الله عليه من علوم كثيرة، حتى انعقد الاجماع في حياة مشايخه واتفقت كلمتهم على عظيم شأنه، ثم عهد إليه خاله الشيخ منصور بمشيخة الشيوخ ومشيخة الأروقة المنسوبة إليه وأمره بالإقامة في أم عبيدة برواق جده.

وقد أثنى عليه الأئمة الكبار والعلماء الأجلاء كالشيخ أبي شجاع الشافعي فقال: كان الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه، عَلمًا شامخًا، وجبلًا راسخًا، وعالمًا جليلًا، ومحدثًا فقيهًا مفسرًا، ذا روايات عاليات، وإجازات رفيعات، قارئًا مجوّدًا حافظًا مُجيدًا، حُجة، متمكِنًا في الدين، سهلًا على المسلمين، صعبًا على الضالين، هينًا لينًا هشًّا بشًّا، ليّن العريكة، حسنَ الخَلْق، كريمَ الخُلق، حلو المكالمة، لطيف المعاشرة، لا يملُّه جليسه، ولا ينصرف عن مجالسه إلا لعبادة، حمولا للأذى، وفيًا إذا عاهد، صبورًا على المكاره، متواضعًا من غير ذلة،

كاظمًا للغيظ من غير حقد، أعرفَ أهل عصره بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأعلمَهم بها، بحرًا من بحار الشرع، سيفًا من سيوف الله، وارثًا أخلاق جده رسولِ الله. اهـ.

وكان رضي الله عنه أبا الأيتام، ربيع المساكين، يَجبُر اليتيم ويربيه، ويقرب المساكين، ويعطي الأرامل من غير سؤال، ويُسعِف المحتاج من غير إهمال، وكان يجمع الحطب، ثم يفرقه على الأرامل والمساكين والمرضى والزَمنى والمشايخ، ويقول: الشفقة على الإخوان مما يقرب إلى الله. وكان يقول: أنا حُميد اللاش، أنا لاش اللاش. وكان يقول: إذا رأيتُ يتيمًا يبكي يتقلقلُ كلُّ عضو مني وكان يمشي إلى الزمنى فيغسل ثيابهم، ويفلي رءوسهم وثيابهم، ويحمل إليهم الطعام، ويأكل معهم ويجالسهم، ويسأل الله تعالى لهم العافية، ويسألهم الدعاء. وكذلك كان يفعل مع العميان والمرضى والعرجان. وكان يقضي حوائج العجائز والأرامل من النصارى ويخدمهم ويحسن إليهم حتى أسلمَ خلقٌ كثير منهم على يديه، وكانوا يسمونه أبا الأيتام والمساكين. وأخبار شفقته على الخلق أكثر من أن نحصرها وفي ذلك يقول رضي الله عنه: وصلنا إلى ما وصلنا إليه بالشفقة على عباد الله.

ولو أردنا استيعاب فضائله لضاق الوقت، ولكنا نورد ما فيه البلاغ.

أما كراماته فكثيرة نذكر منها الكرامة المشهورة وهي منقبةُ تقبيله يدَ النبي ﷺ وسماع صوته الشريف فيما نقله الإمام جلال

الدين السيوطي في إثبات هذه الكرامة ما نصه: حدثنا شيخ الإسلام الشيخ كمال الدين إمام الكاملية، عن شيخ مشايخنا الإمام العلامة الهمام الشيخ شمس الدين الجزري، عن شيخه الإمام الشيخ زين الدين المراغي، عن شيخ الشيوخ البطل المحدث الواعظ الفقيه المقرئ المفسر الإمام القدوة الحجة الشيخ عز الدين الفاروثي الواسطي، عن أبيه الأستاذ الأصيل العلامة الجليل الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الفاروثي، عن أبيه إمام الفقهاء والمحدثين وشيخ أكابر الفقراء والعلماء العاملين الشيخ عز الدين أبي الفرج الفاروثي الواسطي قُدست أسرارُهم جميعًا قال: كنت مع شيخنا ومفزِعنا وسيدِنا أبي العباس القطب الغوث الجامع الشيخ السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه، عام خمس وخمسين وخمسمائة العام الذي قدر الله له فيه الحج، فلما وصل مدينة الرسول ﷺ، وقف تجاه حجرة النبي عليه الصلاة والسلام وقال على رءوس الأشهاد: «السلام عليك يا جدي»، فقال له عليه الصلاة والسلام: «وعليك السلام يا ولدي»، سمع ذلك كل من في المسجد النبوي فتواجد سيدنا السيد أحمد وأرعد واصفرّ لونُه وجثا على ركبتيه ثم قام وبكى وأنَّ طويلاً وقال: يا جداه:

في حالة البعد روحي كنت أُرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينَك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله ﷺ يده الشريفة العطرة من قبره الأزهر المكرم فقبلها في ملأ يقرُب من تسعين ألف رجل والناس ينظرون اليد الشريفة، وكان في المسجد مع الحُجاج الشيخ حياة

ابن قيس الحراني، والشيخ عبد القادر الجيلي المقيم ببغداد، والشيخ خميس، والشيخ عدي بن مسافر الشامي، وغيرهم نفعنا الله بعلومهم وتشرفنا معهم برؤية اليد المحمدية الزكية. وفي يومها لبس الشيخ حياة بن قيس الحراني خِرقة السيد أحمد الكبير واندرج في سلك أصحابه.

وكراماتُه أكثرُ من أن نحصرها وفي هذا ما يكفي لبيان علو منزلة هذا الإمام الجليل رضي الله عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته.

العارف بالله القطب الشيخ إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه:

ومنهم الأستاذ الكبير والقطب الغوث الشهير حامل لواء المعالي، وقائد ركبان الأعالي، الواقف على متن المنهاج الحقيقي، مولانا السيد إبراهيم الحُسيني الدسوقي رضي الله عنه، وهو إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد بن النجا ابن عبد الخالق بن القاسم بن جعفر بن عبد الخالق ابن أبي القاسم الزكي بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي الزاهد ابن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه القرشي الهاشمي.

أخذ الطريقة ولبس الخِرقة من الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، وتخرج بصحبة الشيخ نور الدين عبد الصمد النظري، وبصحبة الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم، ثم برع واشتهر وشهد له رجال وقته بالولاية الكبرى والقطبية العظمى وانتهت إليه رئاسة الطريق.

ويقول الشعراني: هو أحد الأئمة الذي خرق له العادات، وأوقع له الهيبة في القلوب، وانعقد على فضله إجماع المشايخ، وكان مقصودًا بحل المشكلات.

فهو الشيخ الكامل صاحب الأفهام العرفانية، والعلوم اللدنية، والأسرار الربانية كان له المقام العالي في قلوب العلماء والملوك والمهابة في الصدور، وقُصد للزيارة والتبرك من سائر الآفاق، وأمر التمساح أن يلفظ الصبي الذي ابتلعه فخرج التمساح ولفظه بحضرة الناس، فإن الله قد خرق له العادات وأظهر على يديه العجائب.

وكان يقول قدس الله سره: من لم يكن عنده شفقة ورحمة على خلق الله لا يرقى مراقي أهل الله، وكان يأخذ العهد على المريد فيقول له: يا فلان اسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، وعلى أن تتبع جميع الأوامر الشرعية، والأخبار المرضية، والاحتفالَ بطاعة الله عز وجل قولا وفعلاً واعتقادًا.

وأن لا تنظرَ يا ولدي إلى زخارف الدنيا ومطاياها وقماشها ورياشها وحظوظها، واتبع نبيك في أخلاقه، فإن لم تستطع فاتبع خُلُقَ شيخِك، فإن نزلت عن ذلك هلكت، واعلم يا ولدي أن التوبة ما هي بكتابة درج ورق ولا كلام من غير عمل إنما التوبة العزمُ على ارتكاب ما الموتُ دونه، فصف أقدامك يا ولدي في حندس الليل البهيم، ولا تكن ممن يشتغل بالبطالة ويزعُم أنه من أهل الطريق.

وكان يقول قدس الله سره: لو هاجر الناس مهاجرة صحيحة طالبين الله خالصًا ودخلوا تحت أوامره لاستغنوا عن الأشياخ، ولكنهم جاءوا إلى الطريق بعلل وأمراض فاحتاجوا إلى حكيم.

وكان يقول قدس الله سره: قوة المبتدي الجوع ومطره الدموع وفطره الرجوع، وأما من أكل ونام ولغا في الكلام، وترخص وقال ما على فاعل ذلك من ملام فلا يجيء منه شيء والسلام.

العارف بالله القطب الشيخ أحمد البدوي رضي الله عنه:

ومنهم الشيخ الأكبر والأسد الغضنفر أبو الفتيان وقطب أهل العرفان ومغيث الأسير مولانا السيد أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أحمد البدوي الحسيني الشهير قدس الله سره، لبس الخرقة من الشيخ بري الرفاعي، وهو لبسها من الشيخ علي ابن نعيم البغدادي، وهو لبسها من السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه.

يقول السخاوي: هو رضي الله عنه السيد أحمد البدوي بن علي ابن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن عمر بن علي بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن علي ابن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن السبط سيدنا الحسين ابن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

وأما صفته فكان طويلاً، غليظ الساقين، كبير الوجه، ولونه بين البياض والسمرة.

ويقول الشعراني: هو شيخ الخرقة أبو العباس أحمد البدوي الحسيب النسيب رضي الله عنه، وشهرته في مصر والشام والحجاز واليمن والهند والسند والروم والغرب تغني عن تعريفه.

وكان مولده بمدينة فاس بالمغرب، فإن أجداده الشُّرفاء انتقلوا أيام الحجاج إلى أرض المغرب لما كثر القتل في الأشراف ولما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلًا يقول له في منامه يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة.

قال الشريف حسن أخو السيد أحمد: فأقمت أنا وإخوتي وكان أحمد أصغرنا سنًا وأشجعنا قلبًا، وكان لكثرة تلثمه سميناه بالبدوي، فأقرأته القرءان ولم يكن في فرسان مكة أشجع من أخي أحمد، حتى كانوا يسمونه في مكة العطاب. فلما جاءته المواهب الإلٰهية وتغيرت أحواله واعتزل الناس ولازم الصمت، فكان لا يُكلم الناس إلا بالإشارة، ثم إنه رأى في منامه ثلاث مرات قائلًا يقول له: قم ثم سر إلى طندتا فإن بها مقامَك فسار إلى العراق ومنها إلى طندتا، ومرّ في طريقه إلى أم عبيدة فزار سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه.

ولما وصل طندتا دخل إلى دار ابن شحيطة شيخ البلد فصعد إلى سطح غرفته، وأقام فوق السطح نحو اثنتي عشرة سنة، وكان يمكث الأربعين يومًا فأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ذكر ذلك الحافظ ابن حجر، ومن هنا كان الناس يقولون فلان من أصحاب السطح، ويقولون سيدي أحمد السطوحي.

وليعلم أن سيدي أحمد البدوي أخذ البيعة في بدايته عن الشيخ عبد الجليل بن عبد الرحمٰن النيسابوري بسبعة وسائط، تنتهي بيعته إلى الإمام داود الطائي إلى الأستاذ حبيب العجمي إلى سيد التابعين الحسن البصري، إلى ابن عم المصطفى الإمام علي المرتضى كرم الله وجهه، وإنما سلوكه وإيصاله الغاية وقع على يد الشيخ بري الرفاعي.

ويقول سيدنا مولانا شيخ الإسلام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث في السيد أحمد البدوي: عُرف بالبدوي لملازمته اللثام ولبس اللثامين حتى كان لا يفارقهما، وعُرض عليه التزويج فامتنع لإقباله على العبادة، وكان قد حفظ القرءان كله، ثم قرأ شيئًا من الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، واشتهر بالعطاب لكثرة عطبه لمن يؤذيه، وكان إذا عرض له الحال يصيح صياحًا عظيمًا متصلاً، ويؤثر عنه كرامات كثيرة وخوارق شهيرة من أشهرها قصة المرأة التي أَسر ولدها الفرنج فلاذت به فأحضره إليها في قيوده، ومر به رجل يحمل قربة لبن فأشار الشيخ باصبعه إلى القربة فانقدت فانسكب اللبن وخرجت منه حية عظيمة ميتة قد انتفخت؛ وقد لازم جماعة من أهل تلك البلاد خدمته رضي الله عنه، وبنوا على قبره مقامًا وميزوه عن أشياخ عصره، وحدث لهم بعد مدة عمل المولد الشريف عنده، وصار يومًا مشهودًا تقصده الناس من النواحي البعيدة وشهرة هذا المولد في عصرنا تكفي عن وصفه. اهـ.

ويقول المحدث العدل أبي المحاسن يوسف: ومما بلغني من

جماعة من أهل بيروت قالوا أسرتنا الفرنج وكنا اثني عشر رجلًا، فأقمنا في بلاد الفرنج يستخدموننا في الأعمال الشاقة حتى كدنا نموت، فألهمنا الله تعالى يومًا أننا قلنا يا سيدي أحمد يا بدوي إن الناس يقولون إنك تأتي بالأسرى إلى بلادهم سألناك بالنبي ﷺ أن تردنا إلى بلادنا قالوا ففي ذلك اليوم نزلنا مركبًا ليس فيها أحد وقذفنا، فلم يشعر بنا الفرنج حتى سرنا في البحر نحو ميلين، فخرجوا وراءنا، فلم يُدركونا إلى أن وصلنا بلادنا ببركة سيدي أحمد البدوي. اهـ.

ولو أردنا تعداد مناقبه وكراماته وأصحابه لا حجتنا أن نفرد لهم كتابًا مخصوصًا رضي الله عنه.

براءة أهل التصوف من عقيدة الحلول والوحدة المطلقة

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأنعام].

ويقول النبي ﷺ: «**إن كذبًا علي ليس ككذب على أحد**» رواه البخاري.

اعلم ثبتك الله على الحق أن الغلوّ في الدين ممنوع، والغلوّ مجاوزة الحدّ، ومن الغلوّ ما هو كفر وخروج عن الملة المحمدية كادعاء بعضهم أنه لا يحصل شىء في العالم إلا بتصرف الشيخ نعوذ بالله من الكفر.

واعلم أن الانحراف عن الإسلام بدعوى التصوف غير مقبول، وقد رفضه أشياخ هذه الطائفة الكريمة، فقد حذروا مرارًا وتكرارًا من المنحرفين القائلين بوحدة الوجود والقائلين بالحلول والمغالين في المشايخ إلى حد مخالفة الشرع الحنيف.

وقد ابتليت طوائف من الناس بعقائد فاسدة مضلة ليست من الإسلام في شىء، ودخلت باسم الدين ليهون على أصحابها المارقين التلبيس على الأمة في عقائدها، ومن أخطر هذه الفئات القبيحة بكفر طائفة استفحل شرها تَدَّعي أنها صوفية وتسمي نفسها بطائفة التصوف الإسلامي وما أبعدها عن التصوف، وما أبعدَها عن الإسلام وهم أهل الحلول والوحدة المطلقة.

وذلك لأن عقيدة السادة الصوفية الحقيقيين الصادقين غير

المدعين المارقين هي التمسك بعقيدة المسلمين والأمر بالواجبات واجتناب المحرمات والتزام نهج الصالحين وعدم التعلق بالدنيا والإقبال بهمة على الآخرة واتباع مسلك الزاهدين.

وإنه يحزُّ في أنفسنا ما نرى وما نسمع من أدعياء التصوف الذين شوهوا سمعة الطرق الصوفية، وادعائهم الولاية والمقامات والأحوال ودرجة القطبية والإرشاد، وافترائهم على المشايخ الأجلاء، بكلام جُلّه افتراء، كافترائهم على الشيخ محي الدين بن عربي والشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أبي يزيد البسطامي وغيرهم من أئمة الدين وأعلام المسلمين وسادة الصوفية الصادقين، والكثير من هؤلاء الأدعياء ارتدوا عن الدين لزندقتهم وانغماسهم في مستنقع القول بالحلول والزندقة ووحدة الوجود المطلقة التي حاربها السادة الصوفية وأعلنوا براءتهم ممن يقول بها وفي هذا يقول السيد الشريف أحمد الرفاعي الكبير: «كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة».

فلا يغرنك كل مُدَّعٍ للتصوف والطريقة وهو يقول بالحلول والوحدة المطلقة فهو زنديق على الحقيقة لما في فعله من ضرر على نفسه وعلى الخليقة.

واعلم أن كثيرًا من الناس يذمون طرق الصوفية جهلاً وتعنتًا فلا أولئك نجوا ولا هؤلاء أنفوا إنما يذم من حاد عن الشريعة واتخذ الباطل هواه سبلا.

وإننا نذكر في هذا الموضع ما ورد نسبته إلى بعض الأكابر

من الافتراءات مما لا يليق بهم ولا بأمثالهم مع بيان فساد معتقد مدعي التصوف القائلين بالحلول والوحدة المطلقة.

كذلك التنبيه والتحذير من بعض ما أفتراه هؤلاء على أهل التصوف من أقوال وأفعال مخالفة لمنهج القوم الموافق لطريق السنة المخالف للبدعة.

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: «لفظتان ثلمتان في الدين القول بالوحدة، والشطح المجاوز لحدّ التحدث بالنعمة». ا.هـ.

افتراؤهم على الشيخ عبد القادر الجيلاني

*** فمما افتروه على الشيخ الكبير والعالم النحرير والقطب الشهير الباز الأشهب سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ما يلي:**

ما ورد في قصيدة عبد الكريم الجيلي التي رويّها «العين المضمومة» ومن جملتها:

قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة وما أنت مقطوع ولا أنت قاطع

فإنه لفظ لا يجوز إطلاقه على الله تعالى مطلقًا بل هو كفر وضلال.

ومما يجب التحذير منه كتاب «الإنسان الكامل» المنسوب لعبد الكريم الجيلي، ومنظومة تسمى «العينية» تقع في ثمانمائة بيت فيها كلام صريح بالكفر كهذه الأبيات:

وما الكون في التمثال إلا كثلجة وأنت لها الماءُ الذي فيه نابعُ

وما الكون في التحقيق غيرًا لمائه وغيران في حُكم دعته الشرائع

ففي البيت الأول حلول أي أن الله بزعمه حالٌ في العالم حلول ماء الثلج في الثلج، وفي الثاني أن العالم والله شيء واحد أي ليس الله غيرًا للعالم بل هو عين العالم فيما يزعم والعياذ بالله تعالى، وهاتان العقيدتان عقيدة الوحدة المطلقة وعقيدة الحلول أي حلول الله في الخلق وعقيدة الطبائعيين الذين يقولون لا إله والعالم مادة. أشدُ الكفر والعياذ بالله.

وكذلك ما نسبوه افتراءً إلى الشيخ عبد القادر ما ورد في

كتاب «الفيوضات الربانية في مآثر الطريقة القادرية» فإن فيه كلامًا مفترى على الشيخ عبد القادر الجيلاني، ويوجد فيه من الكلمات الشاذة التي لا تليق بالشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ما لا يوجد في كتب الشيخ عبد القادر الصحيحة النسبة إليه، فإن للشيخ عبد القادر كتابًا مشهورًا اسمه «الغنية» في الفقه الحنبلي لأنه حنبلي المذهب، وهذا الكتاب ثابت أنه من تأليفه لكن مجسمة الحنابلة الذين يعتقدون أن الله جسم ساكن جهة فوق أدخلوا عليه مسائل افتروا عليه فيها أنه يقول: «إن الله ساكن في جهة فوق»، وافتروا عليه بأنه يقول: «بأن حروف المعجم قديمة» أي ليس لوجودها ابتداء وهذا خلاف عقيدة أهل السنة، فإن عقيدة أهل السنة أنه لا موجود أزلي قديم ليس لوجوده ابتداء إلا الله، والحروف مخلوقة حادثة، والأصوات حادثة.
وهو رضي الله عنه لا يخالف في العقيدة شيئًا مما عليه أهل السنة السلف والخلف من أن الله تعالى متكلم بكلام لا يشبه كلام الخلق، ومعلوم أن كلام الخلق حرف وصوت حادثان يوجدان شيئًا بعد شيء وهذه صفة البشر، والله تعالى متعال منزه عن كل ما هو من صفات البشر إنما هو متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا. وليس القرءان شيئًا قرأه الله بحرف وصوت على جبريل إنما القرءان كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ بأن أمر القلم الأعلى فجرى وكتب القرءان وغيره من الكتب السماوية. وأمر جبريل بأن يأخذه ويقرأه على سيدنا محمد ﷺ بالحرف والصوت بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [سورة الحاقة] والضمير في ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ يعود لجبريل باتفاق

المفسرين، ومعنى الآية أن القرءان شىء قرأه جبريل. والذي نعتقده أن الجيلاني بريء من مثل هذه الأقوال.

وما نسب للشيخ لا يقول به أقل المسلمين في الدين فكيف بالشيخ عبد القادر الذي هو من أكبر الأقطاب، كيف يقول بأن الله ساكن السماء والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النجم] أي كلُّ متحيز في السمٰوات والأرض فهو ملك لله مخلوق لله حادثٌ وُجِدَ بعد أن لم يكن موجودًا. فكيف يخفى هذا الحق على القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، إنما مشبهة الحنابلة دسوا عليه في كتابه هذه المقالات ليوهموا الناس أن الشيخ عبد القادر على عقيدتهم عقيدة التشبيه.

ومن المعلوم أن الصوفية المحققين هم من أكثر الناس تأدبًا مع الله تعالى لا يطلقون على الله عبارة شنيعة.

ومما في هذا الكتاب أيضًا من الافتراءات إيهام أن الله تعالى أوصى إلى الشيخ عبد القادر وخاطبه بكلمات عديدة يقولون لها الغوثية بهذه الصيغة: «يا غوث الأعظم الأمر كذا وكذا»، ومما فيه: «يا غوث الأعظم أكل الفقراء أكلي وشربهم شربي» وهذا من أشنع الكفر، وهذا اللفظ متكرر فيه «يا غوثُ الأعظم».

قال الشيخ أبو الهدى الصيادي في كتابه الطريقة الرفاعية ما نصه: فقد عزوا للقطب الجليل الفرد الاصيل خزانة الكمالات والمعاني أبي صالح محي الدين السيد الشيخ عبد القادر

الجيلاني رضي الله عنه الكثير من الكلمات التي لم تصدر منه ولم تنقل بسند صحيح عنه مثل الكلمات المكذوبة التي سَمّوها فهو عَطَّر الله مرقده بعيد عنها وبرئ منها.

وهذا الكتاب المسمى «الفيوضات الربانية» ألفه إسمٰعيل القادري الكيلاني من أهل القرن الثالث عشر، ومؤلفه ليس من العلماء فقد نسب إلى الشيخ عبد القادر قصيدتين إحداها ميمية والأخرى نونية.

ففي القصيدة الميمية يوجد هذا البيت:

كل قطبٍ يطوف بالبيت سبعًا وأنا البيت طائف بخيامي

فهذا الكلام أي أن الكعبة تترك مكة وتذهب إلى العراق لتطوف بخيام الشيخ عبد القادر لا يقوله إلا كذاب وقح لأن الكعبة الله وضعها في مكة ليطوف بها المؤمنون بالليل والنهار في مكانها. وقولهم هذا فيه أن صلوات المسلمين لمّا تنتقل الكعبة لتطوف بالجيلاني غير صحيحة لأنهم يكونون قد اتجهوا إلى غير الكعبة وفي ذلك القول بأن المسلمين بإجماعهم جهالٌ وصلواتُهم فاسدة ولا يقول بذلك عاقلٌ.

ومثل هذا الكلام مذكور في كتاب «روض الرياحين» ونص عبارته: «وقد سمعنا سماعًا محققًا أن جماعة شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافًا محققًا اهـ. هو دس على مؤلفه.

تنبيه: ويقال لهم أو ليس كان رسول الله ﷺ يذهب إلى الكعبة ويطوف بها ولم ينقل ولم يحصل أن الكعبة طافت به.

وأما النونية ففيها هذا البيت:

ولو أنني ألقيتُ سري على لظى   لأُطفئت النيرانُ من عُظمِ برهاني

وهذا ردٌ للنصوص لا يقوله مؤمن عرف أن الله خلق الجنة والنار للبقاء فلا تفنيان أبد الآباد، وان نار جهنم لا يلحقها انطفاء أبدًا، هذه عقيدة كل مسلم، فكيف تجرأ هذا المفتري على نسبة هذا الكلام إلى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه.

ومن الكتب التي فيها دس كثير على الشيخ عبد القادر كتاب «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار» لعليّ الشطنوفي المصري، وهذا المؤلف يركب أسانيد باطلة ليروج ما ينسبه إلى الشيخ عبد القادر وليوهم الناس أن هذا الكلام الذي ينسبه إليه صحيح مسندٌ. وقد نص الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره في الدرر الكامنة وطبقات القراء أن الشطنوفي مؤلف «بهجة الأسرار» ذكر في كتابه هذا ما لا يصح إسناده للشيخ الجيلاني رضي الله عنه.

ومن جملة ما فيه من الكذب عليه قوله: إن الشيخ عبد القادر قال: «قدمي هذه على رقبة كل ولي» وقد بين أن هذه الكلمة مدسوسة على الشيخ عبد القادر الإمام الجليل سراج الدين المخزومي في كتابه «صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار» وذكر فيه من كذّب هذا الرجل في نسبة هذا الكلام إلى الشيخ عبد القادر.

وقد ورد هذا القول المكذوب «قدمي هذه على رقبة كل وليّ في كتاب «الفتاوى الحديثية» لابن حجر الهيتمي، فقد أطال

المؤلف النفس في إثبات نسبة ذلك إلى الشيخ عبد القادر ولا صحة لها، والعجب كيف صحح ابن حجر نسبتها إليه، وهي كلمة التعالي والترفع، والأولياء من أكثر الناس أدبًا مع الله، وهم من أكثر الناس تواضعًا، وهذه ليست من باب التحدث بنعمة الله، وحاشا أن يقول ذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه.

ومن المعلوم أن الصوفية الكاملين من أشد الناس تواضعًا وهذا القول بعيد من التواضع، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن التواضع أفضل العبادة**» ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الأمالي المصرية. أي أن التواضع من أفضل العبادات.

قال الشيخ أبو الهدى الصيادي في كتاب الطريقة الرفاعية ما نصه: «وأما ما جاء في الكتاب المسمى «بهجة الأسرار» مؤلفه الشطنوفي في مناقب الشيخ عبد القادر قدس سره الطاهر من الحكايات والكلمات والروايات الموضوعة ففيها للأكابر كلام، منهم من اتهم الشطنوفي في ذاته بالكذب والغرض، ومن القائلين بذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي طاب ثراه وقد ذكر ذلك في طبقات الحنابلة في ترجمة القطب الجيلي نفعنا الله بمدده وعلومه، ومنهم من قال إنه راج على الشطنوفي حكايات كثيرة مكذوبة وكأنهم نسبوه إلى البَلهِ وقبول ما يصح وما لا يصح» ا.هـ، وذكر منهم الحافظ الذهبي والبدر العيني وابن كثير وغيرهم.

ثم قال الصيادي بعد ذلك ما نصه: «وأما هذه الكلمة التي بنى الشطنوفي عليها كتابه البهجة وهي اسناد قول: «قدمي هذه على رقبة كل ولي» أن الحافظ ابن رجب الحنبلي والإمام العز الفاروثي

الشافعي والذهبي والتقي الواسطي وابن كثير والكثير من الأكابر قد أنكروها وبرءوا الشيخ عبد القادر وقالوا إنها من موضوعات الشطنوفي وإنها لم تنقل بسند صحيح يعتمد عليه ا. هـ.

ومما يشبه هذا من الكلام الفاسد الذي يؤدي بقائله إلى الكفر والعياذ بالله تعالى ما اشتهر عن جماعة الشيخ قطب الصومالي المشهور من كلمات يرددونها في مجالسهم وعندما يخرجون إلى مكان وهي:

إن لشيخي تسعة وتسعين اسما كَسُمى ذي الجلال في استجاب الدعاء

يعني قائل هذه الكلمتين الشيخ عبد القادر فيصفه بأن له تسعة وتسعين اسمًا كأسماء الله تعالى تسعة وتسعين في استجابة الدعاء، وهذا الكلام فيه تشبيه للشيخ بالله تعالى، وهذه فرية جديدة على الشيخ الجيلاني الجليل، ومقام الشيخ عبد القادر بعيد من هذا كل البعد، لأن هذا الكلام من باب تشبيه العبد بالخالق، وتشبيه العبد بالخالق كفر.

وكذلك من الافتراءات على الشيخ عبد القادر عبارة وردت في كتاب اسمه «الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة» لعبد الرزاق الكيلاني فإن مؤلفه يقول فيه ما نصه: «يقول الشيخ عبد القادر عن صفة الشيخ المرشد: لا يجوز للشيخ أن يجلس على سجادة النهاية ويقلد بسيف العناية حتى يكمل فيه اثنتا عشر خصلة اثنتان من صفات الله تعالى وهما: أن يكون الشيخ ستارًا غفارًا.

ومما لا شك فيه ولا ريب أن الشيخ الجليل عبد القادر

الجيلاني رضي الله عنه بريئ من مثل هذه الألفاظ، كيف لا وقد اتفق اهل السنة على أن صفات الله أزلية أبدية لا تنتقل إلى غيره، فمن ادعى ذلك كفر وذلك لأن الله تعالى موجود أزلي لم يسبقه عدم أبدي لا يلحقه فناء، وصفاته كذلك، فيستحيل أن يتصف العبد بصفة الرب، ومن المعروف أن الشيخ عبد القادر الجيلاني من كبار أئمة اهل السنة.

ومما يجب إنكاره ما اعتاده بعض أصحاب الطرق لا سيما بعض المنتسبين للطريقة القادرية من قولهم عند قراءتهم الورد بين المغرب والعشاء وبعد صلاة الصبح جماعةً «اللهم أجرنا وأجر والدينا وجميع المسلمين من النار».

هذا الكلام فيه رد للنصوص القرءانية والحديثية، وقد جزم ابن عبد السلام في الأمالي والغزالي بتحريم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بمغفرة جميع الذنوب وبعدم دخول النار لأنا نقطع بخبر الله تعالى وخبر رسول الله ﷺ أن فيهم من يدخل النار. وقد نقل قول ابن عبد السلام والغزالي الرمليُّ في شرح المنهاج والشوبريُّ في تجريده حاشية الرملي الكبير.

افتراؤهم على الشيخ محي الدين بن عربي

*** ومما يلزم التحذير منه افتراؤهم على الشيخ المشهور سيدنا محي الدين بن عربي رضي الله عنه.**

ومن الكلام الرائج عند بعض مدعي التصوف والطريقة والذكر وغيرهم هذه الكلمة «ما الكون إلا القيوم الحي»، وأما نسبتها إلى الشيخ عبد الغني النابلسي في ديوانه وكذا في ديوان الشيخ محي الدين بن عربي فهو محض افتراء ودس وهما بريئان منها ومن مثلها لأنهما من أكابر الموحدين ويذكر الشيخ الشعراني أن الشيخ محي الدين ابن عربي يقول: «من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد» ولا يخفى على كل ذي عقل ثاقب أن الكلام الذي فيه أنهما يقولان «ما الكون إلا القيوم الحي» مدسوس على الشيخ محي الدين رضي الله عنه وعلى الشيخ عبد الغني النابلسي الذي قال في بيان كفر التشبيه وأنه يكفر من اعتقد واحدة منها ما نصه: «أو أنه له الحلول في شيء من الأشياء او في جميع الأشياء، أو أنه متحد بشيء من الأشياء أو بجميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلة منه أو شيء منه، وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه» اهـ.

وكيف ينسب إليه أي إلى الشيخ النابلسي هذا وهو القائل في منظومته في التوحيد:

معرفة الله عليك تفترض   بأنه لا جوهر ولا عَرَض

ومما افتري على الشيخ محي الدين بن عربي ما ورد في كتاب منسوب إلى الشيخ محمود أبي الشامات الدمشقي أنه من تأليفه يسمى «الإلهامات الإلٰهية على الوظيفة اليشرطية ونص عبارته: قال: «قال سيدي الشيخ محي الدين العربي في كتابه «شرح الوصايا اليوسفية»: يجب على المريد أن يعتقد في شيخه أنه المتحكم في موته وحياته وأن الله تجلى في صورته»، ثم قال: «فمن مات تحت حكم شيخ كامل فإن الله لا يتجلى له في القيامة إلا في صورة ذلك الشيخ» اهـ فهذا الكلام ليس من دين الله وهو مناف للتوحيد الذي هو أصل الدين وأصل التصوف الإسلامي، فما هذا الكلام إلا زندقة وهو كفر صريح لا تأويل له، وهو دس على الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه ولا يتفوه الشيخ رضي الله عنه بمثل هذا الكلام المنافي للتوحيد ولعقيدة المسلمين.

وأما قوله في نفس الكتاب: وقد ألف السادة الصوفية نفعنا الله بهم الكتب والرسائل في إثبات وحدة الوجود وأقاموا الأدلة النقلية والعقلية على إثباتها» فما هو إلا محض افتراء على السادة الصوفية، ومردود لأن الصوفية الصادقين كالإمام الجنيد البغدادي والإمام أحمد الرفاعي والإمام عبد القادر الجيلاني والإمام محي الدين بن عربي رضي الله عنهم وأمثالهم قد حذروا من مثل هذه الكلمات ومن هذه العقيدة الفاسدة كالقول والاعتقاد بالوحدة المطلقة والحلول والشطح المجاوز لدين الله تعالى ولهم نصوص مشهورة في التحذير من مثل هذه المنكرات.

والحاصل أن كل ما أورده هذا المؤلف محمود أبو الشامات الدمشقي وأمثاله في مؤلفاتهم تلبيس وتمويه لا يروج إلا على من لم يعرف التوحيد الذي هو أصل الدين.

ومما يجب التحذير منه قول بعض جهلة المتصوفة إذا نوقشوا بمسئلة شرعية غلطوا فيها «هذا صح كشفًا» ونحو ذلك كما في كتاب «الفتح الرباني والفيض الرحماني» والمسمى أيضًا «بأسرار الشريعة» المنسوب للشيخ عبد الغني النابلسي ونصه: «أما ما ذهب إليه الشيخ محي الدين بن عربي في كتابه الفتوحات المكية وغيره من أن عذاب الكفار في النار ينقلب عذوبة فيتلذذون به بعد انقضاء مدة الآلام فهو أمر مبني على الكشف عن أسرار الحقائق الأخروية، وقيل: ليس في هذا مخالفة كما ذكرناه من مذهب الجمهور أن عذاب الكفار في النار دائم أبدي، وفيه: إن الله يتجلى لأهل النار بصفة الجلال اهـ، وهذا الكلام باطل فإن إلهام الولي ليس من أسباب العلم القطعي فهو ليس بحجة كما ذكر ذلك النسفي، والمنام أقل شأنًا، قال الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية رضي الله عنه: «ربما تخطر لي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة» والنكتة: هي الوارد أي الإلهام.

وهذا الكلام المنسوب كذبًا وافتراءًا على الشيخ محي الدين ابن عربي باطل وهو يخالف صريح القرءان والسنة الصحيحة وإجماع المسلمين.

أما مخالفته للآيات القرءانية الدالة على بقاء الجنة والنار

واستمرار عذاب الكفار بلا انقطاع إلى ما لا نهاية كثيرة جدًا منها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [سورة البقرة]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۝٣٦﴾ [سورة فاطر].

وأما مخالفته للحديث الصحيح الثابت: «يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود لا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود لا موت» رواه البخاري.

وأما الإجماع فهو منعقد على بقاء النار ودوام عذاب الكفار فيها، نقله الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في رسالته «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» وذكر أن من رد ذلك فهو كافر.

ومثل هذا الاعتقاد مركوز في فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة فلا يليق بالشيخ محي الدين محي الدين بن عربي ولا بالشيخ عبد الغني النابلسي فهو مما دُس عليهما رحمهما الله تعالى.

افتراؤهم على الطريقة النقشبندية

*** ومما يلزم التحذير منه بعض مدعي النقشبندية وحاشا للشيخ القطب شاه نقشبند أن يكون من أمثالهم.**

ومن مدعي الطريقة وهو منحرف عن أهل الحقيقة رجل يسمى عبد الله الداغستاني وهو داغستاني الأصل والمنشأ وقد ذكر المحدث الشيخ عبد الله الهرري أن الشيخ محمد زاهد النقشبندي قال عنه: «ليس سنيًا وأنه خرج من بلاده وادعى أنه سني نقشبندي الطريقة وهو مقطوع ليس موصولا»، وله كتاب اسمه «الوصية» وقد ملأه بالفساد والضلال مما يلزمنا التحذير منه. وقد قال الداغستاني في أول كتابه هذا ما نصه: «يقول مولانا الشيخ الذي سيفوز في هذا الزمان بما لم يفز به الأولون من الخلوات والرياضات ومن الجهاد الأصغر والأكبر والذي سينال درجة عليا ورتبة كبرى لم ينلها الأنبياء ولا الصحابة» اهـ وهذه جرأة تتضمن دعوى أفضليته على الأنبياء ما تجرأها أحد ولم يتجرأ أحد من أولياء الله على أن يقارب بينه وبين نبي من الأنبياء فضلاً عن دعوى الأفضلية التي ادعاها هذا الرجل.

وهذا الرجل طاماته كثيرة منها أنه نزل من دمشق إلى بيروت ليتداوى لعينه في مستشفى الأطباء وفي أثناء مكثه هناك أعطى مقالة للصحافة في جريدة الأنوار اللبنانية قال فيها: إني مت قبل هذا فجاء أربعة وعشرون ألف نبي فأخذوا روحي وداروا بها في الجنة ثم ردوني إلى الدنيا ثم أنا لا أموت إلا بعد ظهور المهدي بسبع سنين». ثم أماته الله بعد هذه المقالة بنحو ثلاثة أشهر أو

أربعة حُمِلَتْ جنازته إلى دمشق فدفن هناك.

وله مريد اسمه «ناظم القبرصلي» أو القبرصي الذي سمى نفسه «ناظم الحقاني» وهو مثل شيخه في نشر الضلال، وقد قلد شيخه الداغستاني فقد ذكر في هذه الرسالة المسماة «الوصية» ويزيد فقال في موضع منها ما نصه: لو قرأ الكافر فاتحة الكتاب ولو مرة واحدة في حياته لا يخرج من الدنيا إلا وينال قسمًا من تلك العناية لأن الله لا يفرق بين كافر أو فاسق أو مؤمن أو مسلم بل كلهم على السوية اهـ. إلى غير ذلك مما حوته هذه الرسالة من الضلال.

نعوذ بالله من الكفر والخسران والافتراء على الله عز وجل ونسأل الله السلامة.

التحذير من قول «الطريقة واجبة»

ومما يجب التحذير منه قول بعض جهلة المتصوفة: «إن الطريقة واجبة».

ليعلم أن الطريقة من البدع الحسنة، والبدعة لغة ما أحدث على غير مثال سابق يقال: جئت بأمر بديع أي محدث عجيب لم يعرف قبل ذلك. وشرعًا المُحدَث الذي لم ينص عليه قرءان ولا سنة، قال ابن العربي: ليست البدعة والمحدث مذمومين للفظ بدعة ومحدث ولا لمعنيهما، وإنما يذم من البدعة ما يخالف السنة ويذم في المحدث ما دعا إلى الضلالة اهـ.

وقد قسم العلماء البدعة إلى قسمين: بدعة حسنة وبدعة سيئة، فالبدعة الحسنة هي ما وافق الكتاب والسنة، والبدعة السيئة هي ما خالف الكتاب والسنة، ويؤكد هذا التقسيم ما ثبت عن رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل من بعده بها من غير أن ينقص من أوزارهم شىء**» رواه مسلم. فالحديث يبين أن ما يحدث في الإسلام ضربان: قسم يوافق الشرع وقسم يغايره أي يخالفه، ومما يدل على أنه حصل في زمن الصحابة استحداث أمور لم يرد فيها قرءان ولا سنة وتندرج تحت البدعة الحسنة موافقة للحديث الشريف الآنف الذكر ما جاء في صحيح البخاري في كتاب صلاة التراويح ما نصه: «قال ابن شهاب: فتوفي رسول الله ﷺ والناس على ذلك» قال

الحافظ ابن حجر «أي على ترك الجماعة في التراويح». ثم قال ابن شهاب في تتمة كلامه: «ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر رضي الله عنه». وفي صحيح البخاري أيضًا تتميمًا لهذه الحادثة عن عبد الرحمٰن بن عبدٍ القاريّ أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أُبيّ بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: «نعم البدعة هذه» اهـ، وفي الموطأ بلفظ: «نعمت البدعة هذه» اهـ.

والأمثلة على هذا كثيرة من زمن الصحابة إلى يومنا هذا ومن جملة هذه البدع الحسنة الاحتفال بذكرى المولد الشريف والطرق الشريفة التي أحدثها بعض أهل الله كالرفاعية والقادرية وغيرهما وهي نحو أربعين طريقة، فهذه الطرق أصلها بدع حسنة ولكن شذ بعض المنتسبين إليها وهذا لا يقدح في أصلها.

ولا ريب أن الطريقة السهروردية والجشتية والقادرية والسعدية والشاذلية والنقشبندية والبدوية والدسوقية والمولوية والرفاعية وغيرها من الطرق المباركة صحيحة تندرج تحت البدعة الحسنة مما يثبت أن هؤلاء القوم على نهج قويم وصراط مستقيم، دلوا الناس على مشرب نبيهم وجليل حاله، فالقوم أهل العلم والذكر والأحوال، والالتزام بطاعة الله تعالى.

وهذا الكلام يردده رجل ينتسب انتسابًا إلى الطريقة النقشبندية يقال له «محمد الخزنوي» وهو ابن الشيخ العالم الجليل عز الدين ابن الشيخ الولي الكبير أحمد الخزنوي رحمهما الله تعالى. فقيل له: «إن أباك قال: «ليست واجبة» فأصر على كلامه ولم يرجع، ويشهد عليه الثقات أنه قال ذلك وكثير من المنتسبين إليه يقولون هذه العبارة.

فقوله: «إن الطريقة واجبة» أي فرض ردة لأن من أوجب ما ليس بواجب عند المسلمين مما هو معلوم بالضرورة أنه ليس واجبًا ردة كما قال الفقهاء في كتبهم في باب الردة.

وقد جاء في كتاب السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية لعبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي ويليه الحديقة الندية والبهجة الخالدية للعلامة محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي من خلفاء الخالدية وفيه: «الثالثة أن ابن حجر ذكر في شهادت فتاواه الكبرى صورًا لأخذ المشايخ العهد على التائب وذكر في الفتاوى الخليلية أن أخذ العهد حسن محبوب» ثم قال بعد كلام: «وكفى بما ذكرناه شاهدًا على حسن أخذ العهد من المشايخ العاملين بالشرع الشريف»، فبان وظهر خروج محمد الخزنوي عن إجماع الأمة عامةً والنقشبندية خاصةً وقوله هذا أي بأن الطريقة واجبة تضليلٌ وتفسيق لكل الأمة الإسلامية خلفًا وسلفًا قبل القرن السادس الهجري أي قبل أن تتأسس الطرق على المعنى المتعارف عليه اليوم وقوله هذا تضليل لجده الولي الكبير الشيخ أحمد الخزنوي فإنه ما اشتغل بالطريقة والأوراد إلا بعد اشتغاله بالعلم عشرون عامًا وقول محمد هذا فيه إيجاب ما لم يجب إجماعًا وهو كفر.

افتراؤهم على الشيخ أحمد التجاني المغربي

*** ومما يلزم الحذر والتحذير منهم الذين نسبوا أنفسهم زورًا وبهتانًا إلى الشيخ أحمد التجاني المغربي رضي الله عنه.**

ومن انحرف عن جادة الصواب وفارق معتقد النبي ﷺ ومن على نهجه من الأصحاب طائفة نسبت نفسها إلى الشيخ أحمد التجاني المغربي.

ويقول المحدث الشيخ عبد الله الهرري حفظه الله في بيان أمر التجانية: وقد ثبت عندنا أن طريقته الأصلية حرفت بأن نشرت هذه النسخ (أي كتبهم) المحرفة وأخفيت النسخ الأصلية للشيخ وذلك من ثلاث طرق:

إحداها: شهادة شيخنا الشيخ داود الجبرتي الحبشي فقد قال: «إنه لما دخلت الكفار المغرب لم يكن يستتب لها الأمن فدلها بعض الخونة على أمر، قال لهم: إنكم إن فعلتم ذلك استتب لكم الأمن وقال لهم: تنشر كتب محرفة وتخفى الأصلية فإذا انتشرت هذه الكتب بين أتباع الشيخ يصير بينهم اختلاف فأنتم تستريحون».

الثانية: ما قاله الشيخ إبراهيم صالح الحسيني القاضي الشرعي الأكبر لنيجيريا عند ذكر الكلام على التيجانية: الشيخ أحمد التجاني أشعري العقيدة عالم لا يقول ما نُسب إليه إنما حقيقة الأمر أن أوائل تلاميذه ومريديه اشتغلوا بالجهاد ومحاربة الفرنسيين فلجأ الفرنسيون إلى بعض المنتسبين إليه وأعطوهم

مالا فأدخلوا التحريف في الطريقة التجانية مما أدى إلى انشقاق التجانيين، وأول من جاء بهذا التحريف تجانية فاس ثم تبعهم بعض تجانية السودان فأرادوا بزعمهم الدفاع عن الشيخ فزادوا الطين بلة» اهـ. ثم سئل الشيخ إبراهيم عما يدعيه هؤلاء من أن صلاة الفاتح تعدل ستة ءالاف ختمة في القرءان فقال: «لا تعدل حرفًا واحدًا من القرءان»، ثم ذكر أن عنده رسائل بخط الشيخ أبي العباس التجاني فيها خلاف ما نسب إليه المحرفون، وأن التجانية القدماء ليسوا كتجانية هذا الوقت اهـ.

ويقول الحاج مالك به ابن الشيخ داود في كتابه «الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية» ما نصه: وأما ما يقوله أو يفعله بعض الجهال المنتسبين إلى الطريقة التجانية مما يخالف الشريعة الإسلامية فإن الشيخ رضي الله عنه ليس مسئولا عنهم وطريقته بريئة منهم اهـ.

أما كلامهم المنحرف عن كلام الشيخ أحمد التجاني فهو موجود في الكثير من كتبهم ككتاب يسمى «الفتح الرباني» وكتاب «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم» وكتاب «جواهر المعاني» وكتاب «الإفادة الأحمدية».

وأشد منشوراتهم في الضلال دفتر مكتوب عليه «أوراد الطريقة التجانية» وفي هذا الدفتر الصغير مذكور: «اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عين ذاتك الغيبية» وهذه الكلمة لا يقولها مسلم فإنها ضد التوحيد، والإسلام توحيد. وهذه الكلمة تجعل الرسول عين الله أي أن الله والرسول شىء واحد وهذا من أكفر

الكفر كما أن القول بالحلول أي حلول الله تعالى في خلقه من أكفر الكفر.

فهاتان العقيدتان عقيدة وحدة الوجود ويقال لها الوحدة المطلقة وعقيدة الحلول أكفر الكفر، اعتقادهما كفر وقولهما باللفظ كفر لأن ما كان فاسدًا معناه فلفظه فاسد فكما لا يجوز اعتقاده معناه كذلك لا يجوز النطق به.

ومما جاء في كتابهم المسمى «جواهر المعاني» أن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير من القراءن ستة ءالاف مرة لأنه من الأذكار.

وفيه أيضًا: «بأن بعض أحوال الرحمة في أهل النار من الكفار أنهم يغمى عليهم في بعض الأوقات فيكونون كالنائم لا يحسون بألم العذاب ثم تحضر بين أيديهم أنواع الثمار والمأكل فيأكلون في غاية أغراضهم ثم يفيقون عن تلك السكرة فيرجعون إلى العذاب، فهذا من جملة الرحمة التي تنال الكفار» اهـ.

وهذا الكلام مخالف لقول الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [سورة الأعراف].

وفيه أيضًا: إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممتثلون لأمر الله ليسوا بخارجين عن أمره اهـ.

وهذا مخالف للقرءان لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الأنعام] فكيف يوصفون بأنهم ممتثلون لأمر الله ليسوا بخارجين عن أمره والله وصفهم بقوله ﴿مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾. ووصفهم بقوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الكهف].

وفيه أيضًا: إن الشيخ العارف يمكنه أن ينقل روحه من جسده إلى جسد ءاخر ويتصرف بذلك الرجل بما يريد من الأمور اهـ.

وفيه أيضًا ما نصه: «أقول لكم إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه لا من صغر ولا من كبر، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل إلى مقامنا» اهـ.

وفي الكتاب المسمى «الإفادة الأحمدية» ما نصه: «طائفة من أصحابنا لو اجتمع أكابر أقطاب هذه الأمة ما وزنوا شعرة من أحدهم» اهـ.

وفيه ما نصه: «كل الشيوخ أخذوا عني من عصر الأصحاب إلى النفخ في الصور اهـ.

وفيه أيضًا ما نصه: «قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من أول إنشاء العالم إلى النفخ في الصور».

وفيه أيضًا ما نصه: «يوضع لي منبر من نور يوم القيامة وينادي منادٍ حتى يسمعه كل من بالموقف: يا أهل الموقف هذا إمامكم

الذي كنتم تستمدون منه في دار الدنيا من غير شعوركم» اهـ.

وفيه أيضًا ما نصه: «من لم يعتقد أنها (يعني صلاة الفاتح) من كلام الله لم يصح الثواب فيها» اهـ.

وهذا بعض ما في كتبهم ولو أردنا حصرها لضاقت هذه الأوراق عنها.

ثم إن نصيحتنا للمنتسبين للطريقة التجانية أن يتركوا تلك الكتب ويشتغلوا بكتاب الشيخ إبراهيم صالح الحسيني المذكور فإنه ألف كتابًا كبيرًا وقد طبع.

التحذير من المنتسبين إلى «الشاذلية اليشرطية»

*** ومما يلزم الحذر والتحذير منه جماعة نسبوا أنفسهم إلى الشيخ نور الدين اليشرطي رحمه الله.**

فإنه قد ذكر في كتاب منسوب إلى الشيخ محمود أبي الشامات الدمشقي أنه من تأليفه يسمى «الإلهامات الإلٰهية على الوظيفة اليشرطية» فهو محشو بمقالات صريحة في كفر الحلول والاتحاد اللذين هما من أكفر الكفر.

والشاذلية اليشرطية الذين يقولون مرة بعبارات الوحدة ومرة بعبارات الحلول أي حلول الله في خلقه. والعجب كيف ينتسبون إلى التصوف الإسلامي وهم ضد الصوفية لأن التصوف الإسلامي ما ذهب إليه الأكابر كالجنيد وأمثاله موافق للقرءان غير معارض له. فهؤلاء اليشرطية القائلون بالوحدة والحلول مصادمون لنصوص القرءان الكريم كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] فكفرهم أسمج الكفر وأشنعه وفي هذا الكتاب أيضًا مما يجب التحذير منه القول بأولية النور المحمدي.

أما كلامنا على الشيخ محمود أبو الشامات إنما هو على حسب ما اطلعنا عليه فيما ينسب إليه من التآليف وأما أمره في الباطن فعلمه عند الله تعالى هل هذا صح عنه أم هو مفترى عليه، لكن إن كان ثبت عنه هذا الذي في الكتاب الذي نسب إليه المسمى (الإلهامات الإلٰهية) فإنه ملحد من الملاحدة.

وهذه الفرقة التي ينتسب أفرادها إلى الطريقة الشاذلية ويسمون «الشاذلية اليشرطية» ينسبون أنفسهم إلى الشيخ علي نور الدين اليشرطي المغربي الأصل نزيل عكا في فلسطين، أما الشيخ علي نور الدين اليشرطي فقد أثنى عليه خليفته الشيخ العالم التقي الزاهد مفتي لبنان الأسبق الشيخ مصطفى نجا رحمه الله في كتابه «كشف الأسرار لتنوير الأفكار» وأثنى عليه غيره أيضًا.

ويقول الشيخ مصطفى نجا فيما ينقله عن شيخه علي نور الدين اليشرطي في كتاب «كشف الأسرار لتنوير الأفكار» ما نصه: ولقد قال غير مرة: إني برئ في الدنيا وفي الآخرة من كل من يخالف الكتاب والسنة، ولما كنت في حضرته سأله بعض الحاضرين هل يجوز الإنكار على أحد من المريدين، فقال: نعم إذا تعدى حدود الشرع اهـ.

وقال في موضع ءاخر ما نصه: وكتب إلى بعض إخواننا من أهل العلم والفضل خارج بيروت: «بلغني أن فلانًا فسدت أحواله وخرج عن الميزان الشرعي فاعلموا وأعلموا الجميع أنه مطرود من طريقتنا الشريفة هو وكل من وافقه على فساده وأفعاله المخلة بالشرع الشريف، وأوصيكم أن تزنوا أحوال الفقراء[١] على الكتاب والسنة، وكل من رأيتم منه مخالفة فأنتم مأذونون بطرده، ولا تعطوا الطريقة إلا لمن وجدتم فيه الأهلية ورأيتموه متمسكًا بالشريعة الطاهرة المرضية».

(١) الفقراء في اصطلاحهم هم الصوفية.

وكتب لي يقول: «كل طريقة تخالف الكتاب والسنة فهي زندقة وباطلة» اهـ.

وقال الشيخ يوسف النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء» ما نصه: «انتفع به قوم وتضرر ءاخرون ممن حادوا عن طريق السداد وجانبوا طريق الرشاد وغلب عليهم الجهل حتى تركوا الصلاة والصيام وصاروا لا يفرقون بين الحلال والحرام، وهؤلاء يوجد منهم في عدة بلاد من بلاد الشام كصفد من بلاد عكا وطوباس وأم الفحم من بلاد نابلس. وكان الشيخ رضي الله عنه لما بلغه شأنهم وقبح سيرتهم في أيام حياته كتب إلى سائر الجهات التي فيها مريدوه ينهاهم عن مخالطة أولئك الجهلة المارقين، ويصرح بأنه برئ منهم ومن أعمالهم وبطردهم من الطريقة، ولم يزل كذلك إلى أن مات وهو عليهم غضبان، وما زال بعد موته يوجد منهم جماعة في البلاد المذكورة إلى الآن اهـ.

وهؤلاء وصلت بهم هذه العقيدة إلى استحلال الأمهات والبنات كما ذكر ذلك الشيخ راغب الطباخ الحلبي في كتابه «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» فقال ما نصه: وإن الحق يقال ما علمنا منه (يعني الشيخ علي نور الدين اليشرطي) سوى ما يوجب الكمال غير أن بعضًا من جماعته قد خرجوا عن دائرة الأدب وتكلموا بما هو لكل ملام سبب، وتركوا في الظاهر كل مأمور وارتكبوا أقبح الأمور ا.هـ.

ثم ذكر أنه لم يزل بعض أهل هذه الطريقة يفتخرون بمخالفة الشريعة الغراء وبترك كل مأمور به، فلاطوا بالأبناء وزنوا

بالأمهات وأكلوا الحرام، وانهمكوا في المنكرات واعتقدوا بأنفسهم أنهم صوفية الزمان وأن من سواهم قد ألبس نفسه ثياب الحرمان. ومن كلامهم الذي يقولونه في مجالسهم في حق الله تعالى: «ليس كمثله شيء وهو عين كل شيء» ويقولون أيضًا: «بدأت بعلي وختمت بعلي» يعنون بهذا أن القطبية بدأت بعلي ابن أبي طالب وختمت بعلي نور الدين.

وهم يؤيدون عقيدة الحلول حتى قال قائلهم والعياذ بالله: «من يرى الفعل عين المفعول به سقط غسل الجنابة» يريد بذلك أن الفاعل والمفعول به شيء واحد.

ومثل ذلك مما يدل على اعتقادهم الحلول والوحدة المطلقة كثيرٌ وقد اشتهر عنهم ذلك فهم يتكلمون أحيانًا بلفظ الاتحاد وأحيانًا يتكلمون بلفظ الحلول.

وهذه الفرقة تستحل مصافحة الرجال النساء الأجنبيات ويقبل النساء أيدي الرجال وبالعكس إذا تلاقوا، نعوذ بالله من الفتن، وفضائحهم ومخازيهم لا يحصيها إلا الله تعالى.

التحذير مما نسب إلى الغزالي

*** مما يلزم الحذر والتحذير منه ما ينسب إلى الشيخ الغزالي رحمه الله.**

وذلك من مواضع جاءت في كتاب «إحياء علوم الدين» مثل ذلك ما نصه: «وفي الحديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل» اهـ وهذا كذب على رسول الله ﷺ فإن الرسول لا يقول هذا الكلام، بل اشتهر حديث عند الصوفية وهو حديث حارثة بن مالك أن الرسول ﷺ لقيه ذات يوم فقال له: «**كيف أصبحت يا حارثة**» قال: أصبحت مؤمنًا حقًا» قال: «**انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة**» قال: «عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزًا وكأني بأهل الجنة يتزاورون فيها وكأني بأهل النار يتعاوون فيها» قال: «عرفت فالزم عبدٌ نور الله الإيمان في قلبه». وهذا الحديث متداول بين الصوفية وفيه أن الرسول لم ينكر على حارثة قوله: أصبحت مؤمنًا حقًا معناه يجوز أن يقول المؤمن أنا مؤمن. وهذا هو الحق فالزم. وقد قال الله تعالى في القرءان الكريم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فصلت] وقال النبي ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله**» رواه أبو داود، وقال تعالى إخبارًا عن يوسف عليه السلام ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة يوسف] وعليم أبلغ من عالم.

وقد ذكر العلماء أن كتاب «الإحياء» لا يعتمد عليه في الحديث لذكره في كتابه المذكور جملة من الأحاديث الموضوعة.

قال الشعراني في كتابه «لطائف المنن والأخلاق» ما نصه: «قال الإمام العلامة عمر بن محمد الإشبيلي الأشعري رضي الله عنه في كتابه المسمى «لحن العوام» وليحذر من العمل بمواضع من كتاب الإحياء للغزالي، ومن كتاب النفخ، والتسوية وله غير ذلك من كتب الفقه فإنها إما مدسوسة عليه أو وضعها أول أمره ثم رجع عنها كما ذكره في كتابه المنقذ من الضلال اهـ.

ومما يجب التحذير منه ما ورد في حاشية البيجوري فقد ذكر أبياتًا وعزاها للغزالي وليست من كلامه، منها هذا البيت الذي هو مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة وهو:

وهو فوق الفوق لا فوق له   وهو في كل النواحي لا يزول

فهذه الجملة «وهو في كل النواحي لا يزول» خلاف عقيدة أهل السنة فإن معتقد أهل السنة أن الله تعالى موجود بلا مكان ولا جهة لأنه كان قبل المكان والجهة موجودًا وبعد أن خلق المكان والجهة لم يزل موجودًا بلا جهة ولا مكان.

القول الصحيح في الحلاج

*** القول الصحيح في الحلاج:**

اعلم أن الحلاج قتل لأنه قال: «أنا الحق» أي أنا الله لأن الحق اسم من أسماء الله ومعناه الثابت الوجود فكفره القاضي أبو عمر المالكي في بغداد ونفذ الخليفة حكمه فقطعت يداه ورجلاه ثم قطعت رقبته ثم أحرقت جثته ورمي رماده في نهر دجلة، وكان للحلاج أتباع اتبعوه في الضلال فنكّل الخليفة المقتدر بالله العباسي بهم التنكيل الشديد حتى يرتدعوا لكن بعض اتباعه بقي على العناد فإنهم افتروا وقالوا في اليوم الثاني من قتل الحلاج: «إنه ظهر لنا عيانًا وقال: «أتزعمون كما يزعم هؤلاء البقر أني قتلت وصلبت إنما قتل شبهي». وافترى بعضهم بقوله «إن دم الحلاج جرى على الأرض فكتب لا إلـٰه إلا الله الحلاج ولي الله» وهذا لم يحصل أبدًا.

والحلاج ذكره أبو عبد الرحمـٰن الحافظ السُّلمي الصوفي في كتاب طبقات الصوفية فقال رضي الله عنه: أكثر الصوفية نفوه (أي أنكروا الحلاج) واعتد به أربعة ذكرهم بأسمائهم منهم أبو عبد الله بن خفيف[1]. وذكر الحافظ الخطيب البغدادي أن الحلاج جاء إلى الجنيد مرة فسأله عن شىء فلم يجبه وقال: «إنه مدع». وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي إن الجنيد رضي الله عنه قال للحلاج: لقد فتحت في الإسلام ثغره لا يسدُها إلا رأسُك».

---

(١) هؤلاء الذين لم ينفوه قالوا إنه كان في حال الغية أي غاب عقله حين قال أنا الحق وغيرها من كلمات الكفر الصريحة.

وقال بعض العلماء إن الحلاج كان غائب العقل فلم يكفروه، وقال بعض الصوفية: إن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه اعتبره سكران غائب العقل، أما سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه فقد قال في الحلاج: «لو كان على الحق ما قال أنا الحق». واعلم أنهم لم يختلفوا في أن هذا الكلام المنقول عن الحلاج كفر، وقد نقل الحافظ الخطيب البغدادي عن ابن الحلاج في أبيه أمورًا شنيعة.

ويقول المحدث الشيخ عبد الله الهرري حفظه الله: «أما أنا فأقول ولله الحمد: نحن مع الصوفية الحقيقية الجنيد رضي الله عنه ومن سار على قدمه قال رضي الله عنه: «التصوف صفاء المعاملة» وقال: «ما أخذنا التصوف بالقال والقيل ولكن أخذناه بالجوع والسهر وترك المألوفات والمستحسنات». وقال رضي الله عنه: «الطريق إلى الله مسدودة إلا على المقتفين ءاثار رسول الله ﷺ»، وكلام الإمام الجنيد يبطل قول بعض الناس الذين يدعون التصوف ولم يفهموا حقيقة التصوف إذا كُلموا بحق يخالف هواهم «نحن أهل الباطن وأنتم أهل الظاهر فلا نتفق»، وهؤلاء خطر كبير على الناس لأنه كلما أنكر عليهم منكر بحق يعارضون بقولهم هذا أنتم أهل الظاهر ونحن أهل الباطن فلا نتفق» إنا لله وإنا إليه راجعون.

وأما محاولة ابن حجر الهيتمي أيضًا تأويل قول الحلاج «أنا الحق» ودعواه أنه لا يكفي في قوله هذا إن كان في صحو وإن كان في غيبة وكذا تأويله القول المنسوب لأبي يزيد البسطامي:

«سبحاني سبحاني» وذلك في مطلب في معنى قول الحلاج «أنا الحق» وقول أبي يزيد «سبحاني سبحاني».

والجواب: إجازة قول هذا في حال الصحو والغيبة للولي كفرٌ، ما قال به أحد من أهل العلم بل تفرد به هذا المؤلف ابن حجر، وعلى فرض أن هذا كلامه فهو كفر لأنه لا فرق في شريعة الله بين الولي وغيره في تجنب الألفاظ التي تخالف الشرع، فإن شرع الله واحد للأولياء وغيرهم، والأولياء أشد تمسكًا بالشرع من غيرهم، فالفاظ الكفر كفر على كل أحد من الخلق.

وبقوله هذا وأمثاله فتح ابن حجر الهيتمي لملاحدة المتصوفة بابًا للتجرئ على قولهم بالحلول والوحدة المطلقة كالفرقة المنحرفة من الشاذلية اليشرطية القائلين بالعقيدتين عقيدة الوحدة المطلقة وعقيدة الحلول أليس كان الأولى به وبغيره أن يقتدي بكلام سيد الطائفة الصوفية الجنيد البغدادي رضي الله عنه ما قد ذكرناه سابقًا.

بيان أن لفظ ءاه ليس ذكرًا

*** التحذير من المخالفات التي تحصل مع الجهال في حلقات الذكر، والتحذير من الذكر بلفظ «ءاه» وأنه ليس من أسماء الله تعالى:**

اعلم أنه لم يرد في حديث صحيح ولا ضعيف بل ورد في حديث موضوع لا صحة له ولا إسناد أن «ءاه» اسم من أسماء الله، وإنما الذي ورد بإسناد تالف ساقط ما رواه الرافعي في «تاريخ قزوين» أن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل علي رسول الله ﷺ وعندي مريض يئن فقال: «دعوه يئن فإن الأنين اسم من أسماء الله». والأنين ألفاظ عدة نحو عشرين كلمة سردها الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح القاموس وعدّ من ألفاظ الأنين: «أوّه»، و«ءاوَوه» و«أوُّوه» و«ءاوياه»، و«أوَّتاه» و«أوَّاه» كشداد، و«ءاه» و«أه» و«ءاهِ» بكسر الهاء»، ثم قال «منهن اثنتان وعشرون لغة كل ذلك كلمة تقال عند الشكاية أو التوجع أو الحزن» اهـ.

ثم إن علماء اللغة لم يذكر واحد منهم أن واحدًا من هذه الألفاظ اسم من أسماء الله، فكيف خصوا هؤلاء الذين يذكرون هذا اللفظ إذا عملوا حضرة ذكر عند وقوفهم وقيامهم متماسكين بالأيدي واهتزازهم مع التثني والتكسر «ءاه» من بين تلك الكلمات العديدة، والمذكور في هذا الحديث الموضوع لفظ الأنين وليس لفظ «ءاه» فمقتضى احتجاجهم بهذا الحديث الموضوع أن يكون «ءاه»، و«ءاوه وأوّتاه وغيرها كل هذا اسم من أسماء الله ولا يقولون بذلك إنما يقولون عن «ءاه» بفتح الهمزة ممدودة وإسكان الهاء فقط.

ويكفي دليلاً على عدم كونه اسمًا لله اتفاق المذاهب الأربعة على أن الأنين يبطل الصلاة.

وأما قول العزيزي في «السراج المنير شرح الجامع الصغير» عند إيراد السيوطي هذا الحديث «دعوه يئن فإن الأنين من أسماء الله»: «قال الشيخ: حديث حسن لغيره» اهـ فلا معنى له لأن شيخ العزيزي هو محمد حجازي الشعراني لا ذِكر له ولا للعزيزي في طبقات المحدثين، أما كتاب «الجامع الصغير» فليس من الكتب التي جُردت للصحيح والحسن وفيه الكثير من الصحيح والكثير من الحسن والكثير من الضعيف وفيه من الموضوع قليل.

وقد حكم بوضع حديث الأنين المحدث الحافظ أحمد بن الصديق الغماري في كتاب «المغير على الجامع الصغير» وأفرد له رسالة مستقلة.

ثم إن إدخال «ءاه» في حال الذكر عند الشاذلية شيء استحدثه شاذلية فاس وليس من عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، قال ذلك شيخ الشاذلية في المدينة المنورة الشيخ محمد ظافر المدني رحمه الله في رسالة له.

وقد ظن بعض جهلة المتصوفة أن معنى «أواه» أن إبراهيم كان يذكر بآه وهذا غير صحيح فإن الأواه من يُظهر خشية الله تعالى كما ذكر الراغب الأصفهاني في المفردات، وقد صح عن ابن مسعود أنه قال «الأواه: «الرحيم» رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن.

افتراؤهم على الشيخ أبي يزيد البسطامي

*** التحذير مما ينسب إلى الشيخ الكبير أبي يزيد البسطامي.**

ففي كتاب «لطائف المنن المنسوب لابن عطاء الإسكندري» ونظن أن مثل هذه الكلمات دست عليه عبارة منسوبة إلى أبي يزيد وهو منها برئ وهذه العبارة هي: «قال أبو يزيد: خضت بحرًا وقفت الأنبياء بساحله» وهذا كلام ظاهر البطلان فيه رفع لمقام أبي يزيد فوق مقام الأنبياء، وأبو يزيد البسطامي رضي الله عنه لا يقول مثل هذه الأقاويل.

ومما يحذر منه ما ينسبه بعض الناس من أن أبا يزيد البسطامي قال: «سبحاني ما أعظم شاني» وأنه قال «أنا الحق» أي الله وأنه قال: «الجنة ملعبة الصبيان» وكل هذه الأقوال مكذوبة لم يقلها أبو يزيد وهي أباطيل ملفقة مكذوبة، وحاشاه أن يقول مثل هذا الكلام القبيح لأنه من المتمسكين بآداب السنة الشريفة حالا وقالا وفعلاً، وقد كان في زمنه رجل «بقومس» مشهور بالورع والزهد فقال يومًا أبو يزيد البسطامي لأصحابه: قوموا بنا ننظر إلى الرجل الذي شهر نفسه بالولاية فذهبوا معه، فلما خرج الرجل من منزله ودخل مسجده رمى ببزاقه نحو القبلة فقال أبو يزيد: قوموا بنا ننصرف من غير أن نسلم فإن هذا الرجل ليس بمأمون على أدب من ءاداب الشريعة التي أدب بها رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونًا على ما يدعيه من مقامات الأولياء الصديقين.

افتراؤهم على شيخ الطائفة الجنيد البغدادي

* التحذير مما ينسب إلى شيخ الطائفة ومقدم الجماعة الصوفية الجنيد البغدادي رضي الله عنه.

ومما أفتري على الإمام الجنيد البغدادي رضي الله عنه ما جاء في كتاب يسمى «لطائف المنن» منسوب لابن عطاء الإسكندري ونظن أن مثل هذه الكلمات دست عليه ونص العبارة المذكورة فيه: «وقال الجنيد: أدركت سبعين عارفًا كلهم يعبدون الله على ظن ووهم، حتى أخي أبي يزيد لو أدرك صبيًّا من صبياننا لأسلم على يديه» اهـ وهذا الكلام باطل لا يقوله إمام الصوفية الجنيد رضي الله عنه، فكيف يغيب عن مثله قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴿١٠﴾﴾ [سورة إبراهيم] فمقام الجنيد وأمثاله بعيد كل البعد عن مثل هذه العبارة أو عن مثل هذا الاعتقاد.

التحذير من مدعي الطريقة الدندراوية

ما شاع من بعض مدعي الطرق في عصرنا هذا كالذين ينتسبون إلى الطريقة الدندراوية، والدندراوية فرقة نسبوا إلى الشيخ الدندراوي، أما صاحب الطريقة الأصلية فلا نتكلم عنه، إنما ما شوهد من دندراوية بيروت فإنهم يقولون كلمة صريحة في الكفر وهي «اللهم صل على كل المخلوقات ومخلوقاتها وكل الكائنات وكائناتها لمن كان سبب في وجودها» فهؤلاء من شدة جهلهم جعلوا للعباد مخلوقين وجعلوا للكائنات كائنات وهذا خلاف التوحيد، لأن التوحيد هو أنه لا خالق إلا الله وما سوى الله مخلوق، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ١٦﴾ [سورة الرعد].

التحذير من المخالفات الشائعة بين مدعي التصوف

*** التحذير من أقوال وأفعال واعتقادات شائعة بين مدعي التصوف.**

كذلك مما يجب التحذير منه كتاب «مولد النبي محمد ﷺ لعبد القادر الحمصي الشاذلي» فإنه مذكور فيه كفريات مثل هذه الأبيات ونصها:

واعلم أن الله عينُ العيانِ   وأجمعُ خلق الله في الوحدة
ما في إلا الله في الوجود   اسمع قول الله وارع الحدود

كذلك يجب التحذير من كتاب منسوب لابن عجيبة الشاذلي يسمى «معراج التشوف إلى حقائق التصوف» فيه أن الله تعالى قد يسمى عند الصوفية الخمرة وعبارته: أما الخمر فقد يطلقونها على الذات العلية لأن القلوب تغيب بها كما تغيب بالخمرة الحسية». وفيه أن شروط القطب خمسة عشر منها معرفة الله معرفة عيانية.

ومن الغلو القبيح ظن بعض جهلة المتصوفة أن الشيخ من المشايخ يجل عن الخطإ وهذا مخالف للحديث الشريف ولكلام الصوفية الصادقين، أما الحديث فقوله ﷺ: «**ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك غير رسول الله**» رواه الحافظ الطبراني بإسناد حسن، وأما كلام الصوفية فقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: «إذا علم المريد من الشيخ خطأ فلينبهه، فإن رجع فذاك الأمر وإلا فليترك خطأه وليتبع الشرع»

قال ذلك في أدب المريد، وقال الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «سلم للقوم أحوالهم ما لم يخالفوا الشرع فإذا خالفوا فكن مع الشرع»، وكتب الصوفية طافحة بمثل هذا.

ومما يجب التحذير منه كتاب منسوب لرجل في الحبشة يدعى الشيخ نبراس ألف في الصلاة على النبي ﷺ، ذكر فيه مؤلفه هذا الكلام والعياذ بالله من الكفر «اللهم صلِّ على سيدنا محمد وزير الله الأعظم».

ومما يجب التحذير منه ما في كتاب «تحفة المحتاج لشرح المنهاج» من أن الولي إذا قال أنا الله وأوّل بتأويل مقبول لا يحكم بكفره».

واعلم أن قوله «أنا الله» لا تأويل له بل هو كفر صريح، فأي إنسان يقول عن نفسه أنا الله فهو كافر إلا أنه إذا خرج هذا الكلام من ولي مجذوب في حال غيبته لا يكفّر، لأن الولي في الغيبة غير مكلف وحكمه حكم المجنون حتى يعود إلى صحوته.

قال الشيخ يوسف الأردبيلي في كتابه «الأنوار لأعمال الأبرار» في كتاب الردة ما نصه «ولو قال أنا الله كفر». وقد حصل من بعض الدجالين الذين يدعون التصوف والولاية أنه كان يدخل على جماعة ويقول: «لا إلـه إلا أنا رب العالمين أغفر الذنوب» ليوهم الناس أنه من أهل مرتبة خاصة، وهذا مغرور أوقع نفسه في الكفر وأوقع من وافقه على ذلك.

وقال الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في فتاويه «التأويل البعيد لا يُقبل»، وقال الجنيد سيد الطائفة الصوفية: «لو كنت حاكمًا لضربت عنق من سمعته يقول»: «لا موجود إلا الله».

واعلم أن مما يمتنع شرعًا اطلاق بعضهم على الله تعالى: «الخمار والساقي وراهب الدير وصاحب الدير والقسيس وليلى ولبنى وسعدى وأسماء ودعد وهند والكنز الأكبر ونحو ذلك»، كذلك لا يجوز إجماعًا ما يقوله بعض الغلاة من المتصوفة.

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا

وقول بعضهم:

تمازجت الحقائق بالمعاني   فصرنا واحدًا روحًا ومعنى

ومما ينبغي اجتنابه قول بعضهم «ما في الوجود إلا الله» وقولهم «إن الله في قلوب العارفين» وإنما الصواب أن يقال «ما في الوجود في الأزل إلا الله، ومعرفة الله في قلوب العارفين».

كذلك مما ينبغي تركه قول بعض المنتسبين إلى التصوف: «حضرة الحق، وحضرة الله، وجناب الحق، وجناب الله» فقد منع العلماء منها كما ذكر ذلك الشيخ شهاب الدين الرملي صاحب حاشية كتاب «أسنى المطالب شرح روض الطالب» للشيخ زكريا الأنصاري وذلك لأن الحضرة المكان القريب، والجناب ما حول الشخص وهذا من صفات الأجسام، تعالى الله عز وجل عن ذلك.

ولا ذكر لهاتين العبارتين في كتب السادة الصوفية المعتبرين

إنما يستعملها بعض من ينتسب إلى التصوف من المتأخرين وتبعهم على ذلك غيرهم بدون تحقيق.

ومما يجب التحذير منه أيضًا ما شاع عند بعض جهلة المتصوفة أن الأولياء والخواص لا حاجة لهم إلى علم الدين ولا إلى النصوص الشرعية بل يكفيهم الإلهام والفيوضات فالجواب ما ذكره الشيخ الفقيه يوسف الأردبيلي في كتابه «الأنوار لأعمال الأبرار» ونصه: «ولو قال: الله يلهمني ما أحتاج إليه من أمر الدين فلا أحتاج إلى العلم والعلماء فمبتدع كذاب يلعب به الشيطان» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري ما نصه: «ذهب قوم من الزنادقة إلى سلوك طريقة تستلزم هدم أحكام الشريعة فقالوا: إنه يستفاد من قصة موسى والخضر أن الأحكام الشرعية العامة تختص بالعامة والأغبياء وأما الأولياء والخواص فلا حاجة بهم إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم لصفاء قلوبهم عن الاكدار وخلوها عن الأغيار فتنجلي لهم العلوم الإلـٰهية والحقائق الربانية فيقفون على أسرار الكائنات ويعلمون الأحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات كما اتفق للخضر فإنه استغنى بما ينجلي له من تلك العلوم عما كان عند موسى، ويؤيده الحديث المشهور: «**استفت قلبك وإن أفتاك المفتون**» رواه أحمد.

قال القرطبي: وهذا القول زندقة وكفر لانه إنكار لما عُلم من

الشرائع فإن الله قد أجرى سنته وأنفذ كلمته بأن أحكامه لا تُعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه المبينين لشرائعه وأحكامه كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الحج] وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة الأنعام]، وأمر بطاعتهم في كل ما جاؤا به وحث على طاعتهم والتمسك بما أمروا به فإن فيه الهدى، وقد حصل العلم اليقين وإجماع السلف على ذلك، فمن ادعى أن هناك طريقًا أخرى يُعرف بها أمره ونهيه غير الطرق التي جاءت بها الرسل يستغني بها عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب، وهي دعوى تستلزم إثبات نبوة بعد نبينا لانه من قال: «إنه يأخذ عن قلبه لأن الذي يقع فيه هو حكم الله وإنه يعمل بمقتضاه من غير حاجة منه إلى كتاب ولا سنة» فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة كما قال نبينا ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي**» أخرجه الحاكم في المستدرك.

وقال: وقد بلغنا عن بعضهم أنه قال: «أنا لا ءاخذ عن الموتى وإنما ءاخذ عن الحي الذي لا يموت»، وكذا قال ءاخر. «أنا ءاخذ عن قلبي من ربي»، وكل ذلك كفر باتفاق أهل الشرائع ونسأل الله الهداية والتوفيق.

وقال غيره: من استدل بقصة الخضر على أن الولي يجوز أن يطلع من خفايا الأمور على ما يخالف الشريعة ويجوز له فعله فقد ضل، وليس ما تمسك به صحيحًا فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء منه ما يناقض الشرع، فإن نقض لوح من ألواح

السفينة لدفع الظالم عن غصبها ثم إذا تركها أعيد اللوح جائز شرعًا وعقلاً، ولكن مبادرة موسى للإنكار بحسب الظاهر، وقد وقع ذلك واضحًا في رواية أبي إسحاق التي أخرجها مسلم ولفظه «فإذا جاء الذي يسخرها فوجدها منخرقة فتجاوزها فاصلحوها بخشبة» أخرجه مسلم في صحيحه، ويستفاد منه وجوب التأني عن الإنكار في المحتملات، وأما قتله الغلام فلعله كان في تلك الشريعة، وأما إقامة الجدار فمن باب مقابلة الإساءة بالإحسان» اهـ.

تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد

يقول الحافظ السيوطي رحمه الله عن في بيان تكفير أهل الحلول والوحدة المطلقة في كتابه «الحاوي للفتاوى» ٢/ ١٢٩ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، القول بالحلول والاتحاد الذي هو أخو الحلول، أول من قال به النصارى إلا أنهم خصوه بعيسى إلى أن قال: وأما المتوسمون بسمة الإسلام فلم يبتدع أحد منهم هذه البدعة إلى أن قال. . . غير أن طائفة من غلاة المتصوفة نقل عنهم أنهم قالوا بمثل هذه المقالة وما زالت العلماء ومحققو الصوفية يبنون بطلان القول بالحلول والاتحاد وينبهون على فساده ويحذرون من ضلاله.

وقال الإمام الرازي في كتاب «المحصل في أصول الدين»:

مسألة: الباريء تعالى لا يتحد بغيره، لأنه حال الاتحاد إن بقيا موجودين فهما اثنان لا واحد، وإن صارا معدومين فلم يتجدا، حدث ثالث وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فلم يتحدا، لأن المعدوم لا يتحد بالموجود.

وقال القاضي عياض في كتابه «الشفاء» ما معناه: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول البارئ سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعده الكبرى: «ومن زعم أن الإلٰه يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر» انتهى ملخصًا.

التحذير من جماعة منيرة قبيسي
القائلين بالحلول ووحدة الوجود

ومن الكلام الذي يقوله بعض مدعي التصوف والذكر والتدين قولهم «ما الكون إلا القيوم الحي» وهذه الكلمة وغيرها موجودة في كتاب اسمه «مزامير داود» تستعمله جماعة منيرة قبيسي وهو من جمع بعض الدمشقيات ولهن وجود في بيروت أيضًا، يوهمن الناس بالتزام تغطية الرأس والساقين، وإقامة صورة الصلاة أنهن دينات مؤمنات وهيهات هيهات، من أين يكون لهن ذلك ومعتقدهن فاسد، ولا يعتمدن الكتاب الكريم والسنة الشريفة، إنما يعتمدن ما تقوله لهن شيختهن من الفساد والضلال ويعتمدن هذا الكتاب الذي حشوه بالكفر والضلال مما لا يخفى على أدنى مسلم وهؤلاء النسوة يقال لهن في سوريا «القبيسيات» أو «الآنسات»، وفي لبنان «السحريات»، وفي الأردن «الطَّبعيَّات» وفي الخليج «الآنسات» وكلهن يرجعن إلى منيرة قبيسي في دمشق وهن شاذات منحرفات جاهلات.

ومما جاء في هذا الكتاب المسمى «مزامير داود» عبارات صريحة بالقول بالوحدة المطلقة والحلول مثل قولهن:

إذا ذكرته بالجد ترى ما لا تراه   كل ما تهواه موجود في ذات الله

ومنها قولهن:

يا خليلي قل الله وحده في الكثرة   لا ترى ما سوى مني كل كائنة

وقولهن:

إثنان نحن وفي الحقيقة واحد لكن أنا الأدنى وأنت الأكبر

وهذا الكلام يفيد عقيدة الحلول والوحدة المطلقة ومعنى الوحدة المطلقة بزعمهم أن الله جملة لعالم، ومعنى الحلول أي حلول الله في الأجسام تعالى الله عن ذلك، وكلتا العقيدتين ضد التوحيد ضد الإسلام لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى].

وكذلك من الغلو القبيح قولهن:

نحن لو كنا أينما كنا شيختنا معنا لا تضيعنا

ومن جملة مقالاتهن الكفرية قولهن والعياذ بالله: «الله يهرب من الغرفة الوسخة إلى الغرفة النظيفة» ويحرمن على الحائض الطبيخ خوفًا من أن يتنجس الطعام وأن الثوب الذي تلبسه الحائض يتنجس ولو لم يصبه دم وهذه عقيدة اليهود، ومن عجائبهن قولهن إن التي تخرج كاشفة الرأس ينتقض وضوؤها إلى غير ذلك من الكلام الكفري نعوذ بالله من الفتن والضلال. ومن أشنع كفرياتهن قولهن في الكتاب المسمى «مزامير داود: أستغفر الله من توحيدي لربي، وقولهن: «أستغفر الله من تركي للمعصية».

ويقول القطب الفرد الجامع والبدر المحمدي اللامع محمد مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس رضي الله عنه:

دع وهم أهل الوحدة المطلقة وافهم رموز الجمع والتفرقة

كل اتحاد حكمه باطل وشاهد الظاهر قد مزقه

من غير الأيام احواله وشيبت رغمًا له مفرقه

ثم حنته ثم طاحت به تحت الثرى في حفرة مغلقة
ومن يرى الفقر يرى العنا وتعتريه النُوب المقلقة
وكل وقت كله حاجة لثوبه والخبز والملعقة
وتكتنفه في الخلا وحشة ويتزره الأنس بالطقطقة
يبول مقهورًا وتلوي به لنومه جثته المعرقة
يكون عين الله عز اسمه حاشا وذا من دنس الزندقة
فنزه الخالق عن قول من أشرك واطرح هذه الشقشقة
ما وحد الله تعالى امرؤ معتقد الوحدة المطلقة

فصل

اعلم أن التحذير ممن يضر الناس في دينهم أو دنياهم واجب شرعي اتفق عليه علماء الإسلام، من أجل ذلك جرت عادة علماء الحديث السلف منهم والخلف على ذكر أناس تعاطوا رواية الحديث بالجرح فقد ألف المحدثون كتبًا ببيان المجروحين وكتبًا ببيان الثقات فكان من هؤلاء الأئمة مالك والشافعي وأحمد، فقد قال الإمام مالك عن محمد بن إسحاق المؤلف في المغازي تأليفًا مشهورًا إنه كذاب وكان من أهل بلده المدينة المدينة المنورة، وكذلك قال الإمام الشافعي عن بعض الرواة «الرواية عن حرام حرام» وحرام رجل يقال له حرام بن عثمان، وكذلك أحمد بن حنبل قال: كتب الواقدي كذب، وكذلك البخاري ذكر أناسًا من الرواة بالجرح، وكذلك مسلم، وكذلك بقية أصحاب الكتب الحديثية المشهورة كالنسائي والترمذي وعمل هؤلاء كان عملاً بقوله ﷺ: «**الدين النصيحة** قيل لمن يا رسول الله **قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم**».
فالنصح لله ولرسوله يشمل بيان من يكذب على الله وعلى رسوله بالتحذير منه وكذلك يدخل في النصيحة لدين الله ذكر من يقول في دين الله ما لا علم له به في دروسه أو يذكر في مؤلفاته ما لا أساس له في دين الله فهؤلاء واجب التحذير منهم من أجل هذا الحديث.

كذلك من يدعي أنه صوفي وهو يخبط ويخلط متعمدًا أو عن جهل، فإن كشف حاله واجب وذلك بالتحذير منه، فهذا الحافظ

أبو بكر الخطيب البغدادي والشيخ عبد الرحمٰن السلمي الصوفي ذكرا الحلاج بالجرح والطعن فيه مع أنهما لم يدركا عصره، فالمنصف العاقل يحكم بالشرع لا بالرأي الفاسد والهوى الباطل.

وكم من أناس دخلوا في الإسلام على أيدي السادة الصوفية، وكتب التاريخ تشهد عن انتشار الإسلام على أيدي هؤلاء في بقاع الأرض، فهذا الإمام الكبير أحمد الرفاعي كان عالمًا فقيهًا محدثًا حافظًا نحويًا أصوليًا وكان يحضر دروسه مائة ألف شخص، وكذلك كان يحضر دروسه اليهود والنصارى والمجوس وقد أسلم منهم حوالي عشرة ءالاف شخص، ولا يخفى على من قرأ التاريخ أن أتباع هذا السيد الجليل كانوا السبب في إسلام التتار أي ما حصل في زمن الشيخ المنيعي الرفاعي مع ابن هولاكو وإسلامه حتى سمى نفسه أحمد وأسلم من التتار الذين معه جم غفير.

وكذلك الإمام الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي كان يدرس في كل يوم اثني عشر درسًا، وكذلك الإمام أحمد الفاروقي السرهندي النقشبندي الذي عرف بالمجدد بعد الألف الثاني اهتدى على يديه الألوف في الهند، وكذلك غيرهم من أئمة الطرق الأخرى كانوا من فحول العلماء.

وقد قال سيدنا علي رضي الله عنه: «ليس الحق يعرف بالرجال إنما الرجال يعرفون بالحق» فإذا عرفت الحق فالزم فإن الحق أحق أن يتبع.

مواعظ صوفية
من مواعظ
سيدي أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه

يقول رضي الله عنه: «إياك والتقرب إلى أهل الدنيا، فإن التقرب منهم يقسّي القلب، واتخذ الفقراء أصحابًا وأحبابًا، وعظّمهم وكن مشغولا بخدمتهم، وإذا جاءك واحد منهم فانتصب له على قدميك واسأله الدعاء الصالح، وجاهد نفسك لكي تكون منهم وكن شبيهًا بهم، من تشبه بقومٍ فهو منهم ومن أحب قومًا حشر معهم، ولو عرف الناس ربهم حق المعرفة كما عرفه الفقراء لانقطعوا عن معاش الدنيا وأحوالها بالكُلّية، ومن علامة الفقير أنه إذا أعطى عطاءًا أعطاه لوجه الله ومرضاته لا شيء ءاخر غير ذلك».

وقال رضي الله عنه: «شرط الفقير أنه لا يعلق نظره بملبوسات الخلق وغيرها، فإنه إن علقه بذلك التبس عليه الأمر، وكلما اختلط الفقير بالخلق ظهرت عيوبه، أي أخي لا تنظر إلى عيوب الخلق فإن نظرت أظهر الله فيك جميع العيوب، وإن كان فيك عيب لا تنحرف عن الطريق المستقيم، ولا تراعِ هوى النفس وشهواتها بل راعِ التقوى وأنواع الطاعة وملازمةَ السنة والجماعة، وإذا جلستَ بالخلوة فاحذر الوسواس، وصفّ خواطرك من الكُدورات والرعونات البشرية، وإذا صدر من أخيك عيب فاصفح عنه الصفح الجميل واستر الستر الجليل، وعامل عباد الله بالصلاح والنصح والتقوى، وعظم أهل الخشوع

والمراقبة، ومن كان لك عليه حق أو له عليك حق، فداره كي يعطيك حقك أو إلى أن تعطيه حقه، بل إذا كان لك حق عند أحد فسامحه يُعطيك الله ويعوض عليك، وكن مع الخَلق بالأدب، وعليك تركَ الدنيا ومخالفة النفس، والحذر من الهوى والهوس فإنهما أكبر أعدائك، واعلم أن التوفيق في جميع الأحوال إنما هو من الله سبحانه وتعالى».

ويقول أيضًا: «ومما ينبغي أن يجعل المرء نفسه قائلاً بالنصائح والمواعظ، ويكون متلبسًا بأفعال المعروف ممتثلاً للأوامر والنواهي، واقفًا مع الحق وطريق الشرع، حتى إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر قُبِلَ منه وامتُثِلَ له، وكان لأمره تأثير في نفس المأمور ولنهيه وإلا فلا يقبل منه ذلك ولا يُسمع ما يقول وكان من العظيم عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الصف] ولهذا كانت قلوب الصالحين مهبطَ الأنوار، وإن لم يكن القلب منورًا بنور العبادة والطاعة وأفعال الخيرات كان مهبطَ الشيطان ويلقي صاحبه في ظلم الباطل ويجره إلى الشقاوة، فنعوذ بالله من ذلك».

وكان يقول رضي الله عنه ناصحًا وواعظًا أحد مريديه: «عليك بملازمة الشرع بأمر الظاهر والباطن، وبحفظ القلوب من نسيان ذكر الله، وبخدمة الفقراء والغرباء، وبادر دائمًا بالسرعة للعمل الصالح من غير كسل ولا ملل، وقم في مرضاة الله تعالى، وقف في مرضاة الله تعالى، وقف في باب الله تعالى، وعود نفسك القيام في الليل،

وسلمها من الرياء في العمل، وابك في خَلواتك وجلواتك على ذنوبك الماضية، واعلم أن الدنيا خيال وما فيها زوال، همة أبناء الدنيا دنياهم، وهمة أبناء الآخرة ءاخرتهم.

واشغل ذهنك عن الوساوس، واحذر نفسك من مصاحبة صديق السوء فإن عاقبة مصاحبته الندامة والتأسف يوم القيامة كما قال الله تعالى مخبرًا عمن هذا حاله: ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الفرقان]. فبئس القرين، فاحفظ نفسك من القرين السوء.

يا ولدي إن ما أكلتَه تفنيه، وما لبستَه تبليه، وما عملتَه تُلاقيه، والتوجه إلى الله حتمًا مقضيًّا، وفراق الأحبة وعدًا مأتيا، والدنيا أولها ضعف وفتور، وءاخرها موت وقبور، لو بقي ساكنها ما خربت مساكنها، فاربط قلبك بالله (أي بطاعته ومحبته)، وأعرض عن غير الله، وسلم في جميع أحوالك لله، واجعل سلوكك في طريق الفقراء بالتواضع، واستقم بالخدمة على قدم الشريعة، واحفظ نيتك من دنس الوسواس، وأمسك قلبك من الميل إلى الناس، وكل خبزًا يابسًا وماءً مالحًا من باب الله، ولا تأكل لحمًا طريًا وعسلاً من باب غير الله، وتمسك بسبب لمعيشتك بطريق الشرع من كسب حلال، وإياك من كسر خواطر الفقراء، وصِلِ الرحم، وأكرم الأقارب، واعفُ عمن ظلمك، وأكثِر زيارة القبور، وليّن كلامك للخلق، وكلمهم على قدر عقولهم، وحسّن خُلقَك، وأعرِض عن الجاهلين، وقم بقضاء حوائج اليتامى وأكرِمهم، وأكثِر التردد لزيارة المتروكين من الفقراء، وبادر بخدمة الأرامل، وارحم تُرحم، وكن مع الله

تـر الله مـعـك، واجـعـل الإخـلاص رفـيـقـك فـي سـائـر الأقـوال والأفـعـال، واجـتـهـد بـهـدايـة الـخـلـق لـطـريـق الـحـق، ولا تـرغـب للكرامات وخوارق العادات فإن الأولياء يستترون مِن الكرامات كما تستتر المرأة من دم الحيض، ولازم باب الله، ووجه قلبك لرسول الله، وقم بنصيحة الإخوان، وألف بين قلوبهم، وأصلح بين الناس، واجمع الناس مهما استطعت على الله بطريقتك، وعمِّر قلبك بالذكر، وجمّل قالبك بالفكر، واستعن بالله، واصبر علـى مـصـائـب الله، وكـن راضـيًا عـن الله، وقـل عـلـى كـل حـال الحمد لله، وأكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ، وإن تحركت نفسك بالشهوة أو بالكِبْر فصُم تطوعًا لله واعتصم بحبل الله، واجلس في بيتك ولا تكثر الخروج للأسواق ومواضع الفُرَج فمن ترك الفُرَج نال الفَرَج، وأكرم ضيفك، وارحم أهلك وولدك وزوجتك وخادمك، واعمل للآخرة عملاً حسنًا، واجعل عملك في الدنيا عمل الآخرة، وقل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون.

هذه نصيحتي لك ولكل من سلك طريقي ولإخواني ولجميع المسلمين والمحبين كثرهم الله، وأستغفر الله العظيم من جميع الذنوب خفيها وجليها وكبيرها وصغيرها».

وقال أيضًا: «ترك الوسواس يكون في ترك الحرام، وحسن الإخلاص يكون من خوف الله، والتجرد عن الناس يكون من ذكر الموت والأدب على أحسن قياس يكون من الندم على الماضي من الذنوب، والفكر نور العقل، والذكر نور القلب، والإخلاص نور السر، والتقوى نور الوجه».

ثم قال: «الوصول باب، والعناية مفتاح، والسخاوة سُلَّم، والإخلاص قوة، فإذا أخلصت صعدت إلى السلم، وإذا صرت سخيًّا وصلت إلى المفتاح وفتحتَ الباب بإذن الفتّاح، بُنيَ الطريق على الصدق والإخلاص وحُسن الخلق والكرم، والغنى بالعلم، والزينة بالحلم، والكرامة بالتقوى، والعزة بمخالفة النفس، أكثر من الدعاء المشهور، ومِل عن الطريق المشهور، وتذلل للفقير المستور، وعُدَّ نفسك من أهل القبور».

«قف في باب الاستقامة، واسكن في بيت المداومة، والزَم الصبر على العمل، ومَن طرق الباب بالخضوع، فتح له بالقبول».

«الذكر حفظ القلب من الوسواس وترك الميل إلى الناس، والتخلي عن كل قياس».

«القلب جوهرة مظلمة مغمورة بتراب الغفلة، جلاؤها الفكر، ونورها الذكر، وصندوقها الصبر».

«الصدق سلم العناية، والتقوى بيت الهداية، والتسليم عين الرعاية، والإخلاص حسن الوقاية، والانكسار لله هو الولاية».

«لسان الورع يدعو إلى ترك الآفات، ولسان التعبد يدعو إلى دوام الاجتهاد».

«الحكمة خوف الله، والرباط التوكل على الله، والتدبير التفويض إلى الله، والتسليم العمل بسر ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النساء].

«إن الصلاة عليه (أي على النبي ﷺ) تسهل المرور على الصراط، وتجعل الدعاء مستجابًا، وإن قدرتم أعطوا الصدقة فإنها تبرد النار وتزيل غضب الله، والإحسان للوالدين وبِرَّهم يُهوّن سكراتِ الموت».

«يا ولدي التصوف الإعراض عن غير الله، وعدم شغل الفكر بذات الله، والتوكل على الله، وإلقاء زمام الحال في باب التفويض، وحسن الظن به في جميع الحالات».

«يا ولدي إذا سمعت نقلاً حسنًا وتعلمت علمًا فاعمل به، ولا تكن من الذين يعلمون ولا يعملون، نجاة العالم بعلمه، وهلاكه ترك العمل، ولا تضيع أوقاتك باللهو والطرب وسماع الآلات وكلمات المضحِكين، واترك الفرح فإن الفرح في الدنيا جنون، والحزن فيها عقل وكمال، والخلود فيها محال، والانكباب عليها فعل الجُهّال، واجعل فكرك مشغولا بمن سلف قبلك من الجبابرة والسلاطين ماتوا وكأنهم ما كانوا، هم السابقون ونحن اللاحقون، فسر على منهج الصالحين لتحشر في زمرتهم ولتكون من فرقتهم».

«إخواني إن غرّكم لباس الحكام والأعيان وزينتهم وضاقت صدوركم بهذا فاذهبوا إلى المقابر وانظروا أباءكم وأباءهم تجدوا الكل في التراب والله أعلم بمن هو في النعيم وبمن هو في العذاب فأنتم كذلك مع هؤلاء تتساوون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾» [سورة الشعراء].

«يا ولدي إياك من الاشتغال بما لا يعنيك من الكلام والأعمال وغيرها، وارجع بنفسك عن طريق الغفلة، وادخل من باب اليقظة، وقف بميدان الذل والانكسار، واخرج من مقام العظمة والاستكبار فإنك مضغة ابتداؤك، وجيفة انتهاؤك، فقف بين الابتداء والانتهاء بما يليق لمقامها».

«وإياك من الحسد فإن الحسد أم الخطايا، والكذب والحسد والكره سبب لطرد العبد من باب الرب، فلا تُعَوِّد نفسك على هذه الخصال قطعًا، واقطع نفسك إلى الله، واعلم بأن الرزق مقسوم، فإذا تحققت من ذلك ما تكبرت، واعلم بأنك محاسَب، فإذا تحققت من ذلك ما كذبت، واغضض طرفك عن النظر إلى أعراض الناس فضلاً عن العمل الردئ فإنك كما تدين تدان، وكما أن لك عينًا فلغيرك عيون، وكما أنت يولى عليك، وأمسك لسانك عن مذمة الخلق فإن للخلق ألسنًا، نظرك فيك يكفيك، وكما تقول بالناس قد يقولون فيك، وحاسب نفسك في كل يوم، واستغفر الله كثيرًا، وكن طبيبَ نفسك ومرشدَها، ولا تغفل عن حساب نفسك، وإياك من الاشتغال بحظ النفس، وإياك والظهور فالظهور يقصم الظهور».

من مواعظ الجنيد البغدادي رضي الله عنه

يقول رضي الله عنه: «إنما اليوم إن عقلتَ ضيفٌ نزل بك وهو مرتحل عنك، فإن أحسنت نزله وقِراه شهد لك وأثنى عليك بذلك وصدق فيك، وإن أسأت ضيافته ولم تحسن قِراه شهد عليك فلا تبع اليوم ولا تعد له بغير ثمنه. واحذر الحسرة عند نزول السكرة فإن الموت ءات وقد مات قبلك من مات».

«اتق الله وليكن سعيك في دنياك لآخرتك فإنه ليس لك من دنياك شيء، فلا تدخرن مالك ولا تتبع نفسك ما قد علمت أنك تاركه خلفك ولكن تزود لبعد الشقة، واعدد العدة أيام حياتك وطول مقامك قبل أن ينزل بك قضاء الله ما هو نازل فيحول دون الذي تريد، صاحِب الدنيا بجسدك، وفارقها بقلبك، ولينفعك ما قد رأيت مما قد سلف بين يديك من العمر وحال بين أهل الدنيا وبين ما هم فيه، فإنه عن قليل فناؤه، ومخوف وباله، وليزِدك إعجابُ أهلها زهدًا فيها وحذرًا منها فإن الصالحين كانوا كذلك».

«اعلم يا ابن ءادم أنَّ طلب الآخرة أمر عظيم لا يقصر فيه إلا المحروم الهالك، فلا تركب الغرور وأنت ترى سبيله، وأخلِص عملك، وإذا أصبحت فانتظر الموت، وإذا أمسيت فكن على ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنّ أنجى الناسِ من عمل بما أنزل الله في الرخاء والبلاء».

يا ابن ءادم دينك دينك، نعوذ بالله من النار فإنها نارٌ لا تنطفئ، وعذاب لا ينفد أبدًا، ونفس لا تموت، يا ابنَ ءادم إنك

موقوف بين يدي الله ربك ومرتهن لعملك فخذ مما في يديكَ لما بين يديك، عند الموت يأتيك الخبر، إنك مسئول ولا تجد جوابًا، إنك ما تزال بخير ما دمت واعظًا لنفسك محاسبًا لها وإلا فلا تلومن إلا نفسك».

من مواعظ إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه

يقول رضي الله عنه: «ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك، ذمّ مولانا الدنيا فمدحناها، وأبغضها فأحببناها، وزهّدنا فيها فآثرناها ورغبنا في طلبها، وعدكم خراب الدنيا فحصنتموها، ونُهيتم عن طلبها فطلبتموها، وأُنذرتم الكنوز فكنزتموها دعتكم إلى هذه الغرارة دواعيها، فأجبتم مسرعين مناديها، خدعتكم بغرورها وفتنتكم فأنفذتم خاضعين لأمنيتها، تتمرغون في زهواتها وتتمتعون في لذاتها، وتتقلبون في شهواتها وتتلوثون بتبعاتها، تنبشون بمخالب الحرص عن خزائنها، وتحفرون بمعاول الطمع في معادنها، وتبنون بالغفلة في أماكنها، وتحصّنون بالجهل في مساكنها، وأنتم غرقى في بحار الدنيا، حيارى تتمتعون في لذاتها وتتنافسون في غمراتها، فمن جمعها ما تشبعون، ومن التنافس منها ما تملّون، كذبتكم والله أنفسكم وغرّتكم ومنّتكم الأماني، وعللتكم بالتواني حتى لا تعطوا اليقين من قلوبكم والصدق من نياتكم، وتتنصتون إليه من مساوئ ذنوبكم وتعصونه في بقية أعمالكم أما سمعتم الله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة ص].

لا تُنال جنته إلا بطاعته، ولا تنال ولايته إلا بمحبته، ولا تنال مرضاته إلا بترك معصيته، فإن الله تعالى قد أعدّ المغفرة للأوابين، وأعدّ الرحمة للتوابين، وأعدّ الجنة للخائفين، وأعدّ الحور للمطيعين، وأعدّ رؤيته للمشتاقين قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّى

لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة طه].

«خالفتم الله فيما أنذر وحذر، وعصيتموه فيما نهى وأمر، وإنما تحصدون ما تزرعون، وتجنون ما تغرسون، وتُكافأون بما تفعلون، وتُجزَوْن بما تعملون، فاعلموا إن كنتم تعقلون، وانتبهوا من رقدتكم لعلكم تفلحون، الحذر الحذر!! الجدّ الجدّ!! كونوا على حياء من الله، فوالله لقد ستر وأمهل وجاد فأحسن».

ومن مواعظ الحسن البصري رضي الله عنه

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: «اعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى وإن كان كثيرًا يعدل ما يبقى وإن كان طلبه عزيزًا، فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة التي قد تزينت بخدعها وغرت بغرورها وقتلت أهلها بأملها وتشوفت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلوة، العيون إليها ناظرة، والنفوس لها عاشقة، والقلوب إليها والهة ولألبابها دامغة وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي مُعتبِر، ولا الآخِرُ بما رأى من الأول مُزدجِر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع.

فاحذرها الحذر كله فإنها مثل الحية لين مسها وسمها يقتل، فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما عانيت من فجائعها، وأيقنت به من فراقها، وشدد ما اشتد منها الرخاء ما يصيبك، وكن ما تكون فيها احذر ما تكون لها فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور له، أشخصته عنها بمكروه، وكلما ظفر بشيء منها وثنى رجلاً عليه انقلبت به، فالسار فيها غار، والنافع فيها غدًا خار، وصل الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى فناء، سرورها مشوب بالحزن، وءاخر الحياة فيها الضعف والوهن، فانظر إليها نظر الزاهد المفارق ولا تنظر نظر العاشق الوامق، واعلم أنها تزيل الثاوي الساكن وتفجع المغرور الآمن، لا يرجع ما تولى منها فأدبر ولا يدري ما هو ءاتٍ فيها ينتظر».

وقال رضي الله عنه: «إن الدنيا دار عمل من صحبها بالنقص لها والزهادة فيها سعد بها نفعته صحبتها، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقي بها وأسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به من عذاب الله، فأمرها صغير ومتاعها قليل، والفناء عليها مكتوب، والله تعالى ولي ميراثها، وأهلها محولون عنها إلى منازل ومنها يخرجون، فاحذروا ذلك الموطن وأكثروا ذلك المنفلت، واقطع يا ابن ءادم من الدنيا أكثر همك، ولا تميل إلى الدنيا فترديك منازل سوءٍ مفضية بأهلها إلى ندامة طويلة وعذاب شديد، فلا تكونن يا ابن ءادم مغترًا، ولا تأمن ما لم يأتك الأمن منه فإن الهول الأعظم ومفظعات الأمور أمامك لم تخلص منها حتى الآن، ولا بد من ذلك المسلك وحضور تلك الأمور إما يعافيك من شرها وينجيك من أهوالها، وإما الهلكة وهي منازل مخوفة محذورة مفزعة للقلوب، فلذلك فاعدد ومن شرها فاهرب، ولا يلهينك المتاع القليل الفاني، ولا تربص بنفسك فهي سريعة الانتقام من عمرك فبادر أجلك، ولا تقل غدًا غدًا فإنك لا تدري متى إلى الله تصير فإن الحجة لله بالغة، والعذر بارز، وكل مواف الله عمله، ثم يكون القضاء من الله في عباده على أحد أمرين: فمقضي له رحمته وثوابه فيا لها نعمة وكرامة، ومقضي سخطه وعقوبته فيا لها من حسرة وندامة، ولكن حق على من جاءه البيان من الله بأن هذا أمره هو واقع أن يصغر في عينيه ما هو عند الله صغير، وأن يعظم في نفسه ما هو عند الله عظيم».

من مواعظ سلمة بن دينار رضي الله عنه

يقول رضي الله عنه: «انظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فسألك عن نعمه كيف رعيتها وعن حججه عليك كيف قضيتها، ولا تحسبن الله راضيًا منك بالتغرير ولا قابلاً منك بالتقصير، هيهات ليس كذلك.... فانظر إلى نفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسئول، وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيرًا وكبيرًا.... ما لك لا تنتبه من نفسك وتستقيل من عثرتك.... إنك لست في دار مقام، وقد أوذنت بالرحيل، ما بقاء المرء بعد أقرانه، طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل، يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده، إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلاً ان تردفه على ظهرك، ذهبت اللذة وبقيت التبعة، احذر فقد أوتيت، وتخلص فقد أدهيت إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر، وداو دينك فقد دخله سقم شديد،... أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة».

من مواعظ شميط بن عجلان رضي الله عنه

يقول رضي الله عنه: «إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك.

إذا أصبحت ءامنًا في سربك معافى في بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وعلى من يحزن عليها، إن المؤمن يقول لنفسه إنما هي ثلاثة أيام: فقد مضى أمس بما فيه، وغدًا أمل لعلك لا تدركه، إنما هو يومك هذا فإن كنت من أهل غد فسيجئ غد برزق غد، إن دون غد يومًا وليلة تخترم فيه أنفس كثير فلعلك المخترم فيه، كفى كل يوم همه. ثم حملت على قلبك الضعيف همّ السنين والدهور والأزمنة وهم الغلاء والرخص، وهم الشتاء قبل أن يجئ، وهم الصيف قبل أن يجئ فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة، ما تطلب الجنة بهذا، متى تهرب من النار، كل يوم ينقص من أجلك ثم لا تحزن، أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع، كيف لا يتبين للعالِم جهله وقد عجز عن شكر ما هو فيه وهو معتن في طلب الدنيا فيقرأ القرءان ويطلب العلم حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره وحملها على رأسه فنظر إليه ثلاثة ضعفاء: امرأة ضعيفة وأعرابي جاهل وأعجمي فقالوا: هذا أعلم بالله منا لو لم ير في الدنيا ذخيرة ما فعل هذا، فرغبوا في الدنيا وجمعوها، فالعجب من مصدق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور».

من مواعظ أبي سليمان الداراني رضي الله عنه

يقول رضي الله عنه: «الثياب ثلاثة: ثوب لله، وثوب لنفسك، وثوب للناس وهو شر الثلاثة».

وقال أيضًا: «أنجى الأسباب من الشر الاعتزال في البلد الذي يعرف فيه والتخلص إلى خمول الذكر أين كنت، وطول الصمت، وقلة المخالطة، والاعتصام بالرب، والعض على فلق الكسر، وما دنؤ من اللباس ما لم يكن مشهورًا، والتمسك بعنان الصبر، والانتظار للفرج، وترقب الموت، والاستعداد لحسن النظر مع شدة الخوف، ومن دواعي الموت ذم الدنيا في العلانية واعتناقها في السر، من لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه إلى الهلكة، من لم ينظر لنفسه لم ينظر لها غيره، لا ينفع الهالك نجاة المعصوم ولا يضر الناجي تلف الهالك، يجمع الناس موقف واحد جميعًا وهم فرادى، كل شخص منهم مشغول بنفسه فهو بصالح عمله مسرور ومن شر عمله مستوحش محزون، ومرارة التقوى اليوم حلاوة في ذلك اليوم، والأعمى من عمي بعد البصر، والهالك من هلك في ءاخر سفره وقد قارب المنزل، والخاسر من أبدى للناس صالح عمله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد».

وقال: «طوبى لمن حذر سكرات الهوى، وسورة الغضب والفرح بشيء من الدنيا فصبر على مرارة التقوى، وطوبى لمن لزم الجادة بالانكماش والحذر، وتخلص من الدنيا بالثواب والهرب كهربه من السبع الكلب، طوبى لمن استحكم أموره

بالاقتصاد، واعتقد للخير معاد، وجعل الدنيا مزرعة، وتأنف في البذر ليفرح بالحصاد، طوبى لمن انتقل بقلبه من دار الغرور ولم يسع لها سعيها فيبرز من خطوات الدنيا وأهلها على وبال، اضطربت عليه الأحوال، من ترك الدنيا للآخرة ربحهما ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما، وكل أم يتبعها بنوها، بنو الدنيا تسلمهم إلى خزي شديد، ومقامع من حديد، وشراب الصديد، وبنوا الآخرة تسلمهم إلى عيش رغيد، ونعيم الأبد، في ظل ممدود، وماء مسكوب، وأنهار تجري بغير أخدود، وكيف يكون حكيمًا من هولها يهوى ركون، وكيف يكون راهبًا من يذكر ما أسلفت يداه ولا يذوب، الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة، والفكرة في الآخرة تورث الحكمة وتحيي القلب، ومن نظر إلى الدنيا مولية صح عنده غرورها، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب في قلبه حبها، ومن تمّت معرفته اجتمع همه في أمر الله وكان أمر الله شغله».

أعيان الصوفية

لما ظهرت البدع وكثر من ابتدع، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادًا وعبادًا، انفرد خواص السنة الحافظون قلوبهم عن طوارق الفتنة فهم ودائع مدد الله وخزائن أسراره إليه يرجعون وبه يهيمون وعليه يتوكلون وإلى غيره لا يلتفتون، وهم رضي الله عنهم على مشارب وأطوار، منهم المتحلي بالتجرد عن الآثار، ومنهم المتطيلس بطليسان الذل لله والانكسار، ومنهم الذين سلكوا طريق الفقر والافتقار، واشتهروا باسم الصوفية والفقراء.

ونحن نذكر في هذا الفصل أسماء جماعة من شيوخ هذه الطريقة العلية من الطبقة الأولى.

رويم بن أحمد (توفي سنة ٣٠٣هـ): هو أبو محمد رويم بن أحمد بغدادي من أعظم المشايخ، كان مقرئًا وفقيهًا على مذهب داود.

ومن كلامه رحمه الله: «من حكم الحكيم أنه يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسعة من اتباع العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع».

إبراهيم بن أدهم توفي (سنة ١٦١ هـ): هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور، من بلخ كان من أبناء الملوك فخرج يومًا يتصيد فأثار ثعلبًا أو أرنبًا وهو في طلبه فهتف به هاتف: يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أُمرت؟

ثم هتف به: ما لهذا خلقت ولا بهذا أُمرت فنزل عن دابته وصادف راعيًا لأبيه فأخذ جبة للراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه، ثم إنه دخل البادية ثم دخل مكة وصحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ثم دخل الشام ومات فيها، وكان يأكل من عمل يده كالحصاد والعمل في البساتين وغير ذلك.

ومن كلامه رحمه الله: اعلم أنك لن تنال درجة الصالحين حتى تجتاز ست عقبات:

أولاها: تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة.

والثانية: تغلق باب العز وتفتح باب الذل.

والثالثة: تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد.

والرابعة: تغلق باب النوم وتفتح باب السهر.

والخامسة: تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر.

والسادسة: تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت.

حاتم الأصم: هو أبو عبد الرحمٰن حاتم بن علوان المعروف بالأصم من أكابر مشايخ خراسان، كان تلميذ شقيق البلخي وأستاذ أحمد بن خضرويه، ويقال: إنه لم يكن أصم وإنما تصامم مرة فسمي بذلك.

قال الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى: «جاءت امرأة فسألت حاتمًا عن مسألة فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة

صوت فخجلت فقال حاتم: ارفعي صوتك، فأرى من نفسه أنه أصم، فَسُرَّت المرأة بذلك وقالت: إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الأصم».

أحمد الأنطاكي: هو أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي من أقران بشر بن الحارث وسري السقطي والحارث المحاسبي، وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته.

ومن كلامه رضي الله عنه: إذا طلبت قلبك فاستن عليه بحفظ اللسان.

أبو حمزة البزار (توفي ٢٨٩هـ): كان من أقران الجنيد ومات قبله، وصحب سري السقطي والحسن المسوحي، وكان فقيهًا عالمًا بالقراءات، وكان أحمد بن حنبل يقول له في المسائل: ما تقول يا صوفي.

ومن كلامه رضي الله عنه: «من رزق ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات: بطن خالٍ مع قلب قانع، وفقر دائم مع زهد حاضر، وصبر كامل مع ذكر دائم».

أبو يزيد البسطامي (١٨٨ ـ ٢٦١هـ): هو طيفور بن عيسى البسطامي كان جده مجوسيًا وقد أسلم، وكانوا ثلاثة أخوة: ءادم وطيفور وعلي وكانوا زهادًا عبادًا، أما أبو يزيد فكان أجلّهم حالا.

من كلامه رضي الله عنه: «لو نظرتم إلى رجل يرتقي في الهواء فلا تقتدوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة».

شقيق البلخي (توفي ١٩٤): هو أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من مشايخ خراسان وكان أستاذ حاتم الأصم قيل: كان سبب زهده أنه كان من أبناء الأغنياء خرج للتجارة إلى أرض الترك وهو حَدث فدخل بيتًا للأصنام فرأى خادمًا للأصنام قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثيابًا أرجوانية، فقال شقيق للخادم: إن لك صانعًا حيًّا عالمًا قادرًا فاعبده ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع فقال: إن كان كما تقول فهو قادر على أن يرزقك ببلدك، فلماذا أتعبت نفسك بالمجيء إلى ههنا للتجارة فانتبه شقيق وأخذ في طريق الزهد.

من كلامه رضي الله عنه: «إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعده الناس فبأيهما يكون قلبه أوثق».

وقال أيضًا: «تُعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء: في أخذه ومنعه وكلامه».

محمد بن الفضل البلخي (توفي سنة ٣١٩هـ): هو أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي سكن سمرقند ومات فيها صحب أحمد ابن خضرويه وغيره، وكان أبو عثمان الحيري يميل إليه جدًّا.

من كلامه رضي الله عنه: «إذا رأيت المريد يستزيد من الدنيا فذلك من علامات إدباره».

وسئل عن الزهد فقال: «النظر إلى الدنيا بعين النقص، والإعراض عنها تعززًا وتشرفًا».

سهل التستري (٢٠٠ ـ ٢٨٣ هـ): هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري أحد أئمة القوم، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، وكان صاحب كرامات، ولقي ذا النون المصري بمكة وقال: قال: كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم الليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار وكان يقوم الليل، فربما كان يقول: اذهب يا سهل فنم فقد شغلت قلبي. قال لي خالي (محمد بن سوار) يومًا: ألا تذكر الله تعالى الذي خلقك، فقلت: كيف أذكره، فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلي، الله شاهدي فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته. فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال لي: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوة، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك وداوم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري.

أحمد بن الجلاء: هو أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء بغدادي الأصل أقام بالرملة ودمشق وكان من أكابر مشايخ الشام صحب ذا النون المصري وأباه الجلاء، من كلامه رضي الله عنه: «من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله عز وجل فهو موّحد».

بُنان الجمال (توفي سنة ٣١٦هـ): هو أبو الحسن بُنان بن

محمد الجمال واسطي الأصل، أقام بمصر وكان عظيم الشأن وصاحب كرامات.

يقول أبو علي الروذباري: «ألقي بنان الجمال بين يدي السبع فأخذ السبع يشمه ولا يضره، فلما أخرج قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع، قال: كنت أفكر في اختلاف العلماء في سؤر السباع».

بشر الحافي (١٥٠ ـ ٢٢٧هـ): هو أبو نصر بشر بن الحارث الحافي: أصله من مرو، وقد سكن بغداد ومات فيها، وكان كبير الشأن.

وسبب توبته أنه أصاب في الطريق ورقة مكتوب فيها اسم الله عز وجل وقد وطئتها الأقدام، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية (نوع من الطيب) فطيب بها الورقة وجعلها في شق حائط، فرأى فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول له: يقول لك إلهك: يا بشر طيبت اسمي لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة.

من كلامه رضي الله عنه: «لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس».

عمر الحداد (توفي سنة ٢٦٠هـ): هو أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد من قرية يقال لها: كوردا باذ في طريق بخارى، وكان أحد الأئمة والسادة.

قال: «من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة

ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال».

سمنون بن حمزة (توفي سنة ٢٩٠هـ): هو أبو الحسن سمنون ابن حمزة، صحب السري السقطي وأبا أحمد القلانسي ومحمد ابن علي القصاب، وكان سمنون ظريف الخلق، أكثر كلامه في المحبة، كما كان كبير الشأن.

سعيد الحيري (توفي سنة ٢٩٨هـ): هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري كان من الري ويقيم في نيسابور، صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي، ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني على أبي حفص الحداد وأقام عنده وتخرج به، وزوجه أبو حفص ابنته.

عبد الله بن خبيق: هو أبو محمد عبد الله بن خبيق من زهاد الصوفية، كوفي الأصل وسكن انطاكية وصحب يوسف بن أسباط.

ومن كلامه رضي الله عنه: «أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فاتك، وألزمك الفكر بقية عمرك، وأنفع الرجاء ما سهل عليك العمل».

وقال: «طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب».

أحمد الخرّاز (توفي سنة ٢٧٧هـ): هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري والسري السقطي وبشر بن الحارث.

قال: «صحبت الصوفية ما صحبت فما وقع بيني وبينهم خلاف، قالوا: لماذا، قال: لأني كنت معهم على نفسي».

أحمد بن خضرويه (توفي سنة ٢٤٠هـ): من كبار مشايخ خراسان وكان كبيرًا في الفتوة، صحب أبا تراب النخشبي، قدم نيسابور وزار أبا حفص، وخرج إلى بسطام في زيارة أبي يزيد البسطامي وكان أبو يزيد يقول عنه: «أستاذ أحمد».

ومن كلامه رضي الله عنه: «لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رِق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة».

إبراهيم الخواص (توفي سنة ٢٩١ هـ): هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص، من أقران الجنيد والنوري وله في التوكل والرياضات حظ كبير.

من كلامه رضي الله عنه: «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرءان الكريم بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السَّحَر، ومجالسة الصالحين».

عبد الرحمٰن الداراني (توفي سنة ٢١٥هـ): هو أبو سليمان عبد الرحمٰن بن عطية الداراني من قرية داران إحدى قرى دمشق.

من كلامه رضي الله عنه: «ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيامًا فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة».

وقال: «إذا سكنت الدنيا في القلب رحلت منه الآخرة، وأفضل الأعمال خلاف هوى النفس، ولكل شيء صدأ وصدأ

نور القلب شبع البطن».

أحمد الدينوري (توفي سنة ٣٤٠هـ): هو أبو العباس أحمد بن عمر الدينوري صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريري، وكان عالمًا فاضلًا، ورد نيسابور وكان يعظ الناس، ويتكلم على لسان المعرفة، ثم ذهب إلى سمرقند ومات بها.

ومن كلامه رضي الله عنه: «لسان الظاهر لا يفيد حكم الباطن».

يحيى بن معاذ الرازي (توفي سنة ٢٥٨هـ): هو أبو زكريا يحيى ابن معاذ الرازي الواعظ فريد عصره، له لسان في الرجاء وكلام في المعرفة، خرج إلى بلخ وأقام فيها مدة، ثم رجع إلى نيسابور.

ومن كلامه رضي الله عنه: «كيف يكون زاهدًا من لا ورع له، تورّع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك».

وقال: «الزهد ثلاثة أشياء: القلة والخلوة والجوع».

يوسف بن الحسين الرازي (توفي سنة ٣٠٤هـ): هو أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي كان شيخ الري والجبال في وقته عالمًا أديبًا، وصحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي ورافق أبا سعيد الخراز.

قال: «رأيت ءافات الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، ومرافقة النساء».

أحمد بن محمد الروذباري (توفي سنة ٣٢٢هـ): هو أبو علي

أحمد بن محمد الروذباري بغدادي أقام بمصر ومات فيها، صحب الجنيد والنوري، وكان أعلم المشايخ في الطريقة. وكان أستاذه في التصوف الجنيد، وفي الفقه أبو العباس بن شريح، وفي الأدب ثعلب، وفي الحديث إبراهيم الحربي.

من كلامه رضي الله عنه: «من علامة الاغترار أن تسيء فيحسن الله إليك فتترك التوبة والإنابة توهمًا أنك تسامح في الهفوات وترى أن ذلك من بسط الحق لك».

وسئل عن التصوف فقال: «هذا مذهب كله جدّ فلا تخلطوه بشيء من الهزل».

دلف الشبلي (٢٤٧ ـ ٣٣٤هـ): وهو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، بغدادي المولد، صحب الجنيد ومن في عصره من العلماء، وكان شيخ وقته حالا وظرفًا وعلمًا، مالكي المذهب وقبره ببغداد.

كانت مجاهداته في بدايته فوق العادة، وقال أبو علي الدقاق عنه: «بلغني أنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم».

محمد بن خفيف الشيرازي (٢٧٦ ـ ٣٧١هـ): هو أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، صحب رويما والحريري وأحمد بن عطاء وغيرهم، كان شيخ الشيوخ وواحد زمانه.

وسئل عن القرب فقال: «قربك منه تعالى (أي القرب المعنوي) بملازمة الموافقات».

ودخل فقير على الشيخ أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي فقال الفقير: بي وسوسة فقال الشيخ: عهدي بالصوفية يسخرون من الشيطان.

عبد الله المرتعش (توفي سنة ٣٢٩هـ): هو أبو محمد عبد الله ابن محمد المرتعش النيسابوري من محلة الحيرة، صحب أبا حفص وأبا عثمان ولقي الجنيد وكان كبير الشأن، وكان يقيم في مسجد الشونيزية، وقد مات ببغداد.

ومن كلامه رضي الله عنه: «الإرادة حبس النفس عن مرادها، والإقبال على أوامر الله تعالى، والرضا بموارد القضاء عليه».

الفضيل بن عياض (١٠٥ ـ ١٨٧هـ): هو أبو علي الفضيل بن عياض من ناحية مرو، وقيل ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد، ومات بمكة المكرمة في شهر المحرم.

قال الفضيل بن موسى: «كان الفضيل ابن عياض شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدار إليها سمع قارئًا يتلو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الحديد]، فقال: يا رب قد ءان، فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيهم رفقة فقال بعضهم: نرتحل، وقال قوم: حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وأمنهم، وجاور الحرم حتى مات».

حمدون القصار (توفي سنة ٢٧١هـ): هو أبو صالح حمدون ابن أحمد بن عمارة القصار النيسابوري، صحب أبا تراب النخشبي.

قال رجل لأبي صالح أوصني فقال: «إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا فافعل».

وقال: «لا تُفْش على أحد ما تحب أن يكون مستورًا منك».

الحارث المحاسبي (توفي سنة ٢٤٣هـ): هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي لا نظير له في زمانه علمًا وورعًا ومعاملة وحالا، بصري الأصل مات ببغداد.

قال الأستاذ أبو علي الدقاق: «كان الحارث المحاسبي إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على إصبعه عرق فكان يمتنع منه».

وقال الحارث: «من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زيّن الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة».

أحمد بن مسروق (توفي سنة ٢٩٨هـ): هو أبو العباس أحمد ابن محمد بن مسروق، من أهل طوس، سكن بغداد وصحب الحارث المحاسبي وسري السقطي، وتوفي في بغداد.

ومن كلامه رضي الله عنه: «من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله تعالى في حركات جوارحه».

وقال: «شجرة المعرفة تسقى بماء الفكر، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة، وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والموافقة».

ذو النون المصري (توفي سنة ٢٤٥هـ): هو أبو الفيض ذو النون ثوبان بن إبراهيم المصري، كان أبوه نوبيًا من نواحي مصر

فائق الشأن وأوحد زمانه علمًا وورعًا وحالا وأدبًا، سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل وردّه إلى مصر مكرمًا، وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: «إذا ذكر اِليَّ الورع فحيهلا بذي النون»، وكان ذو النون رجلاً نحيفًا تعلوه حمرة.

ومن كلامه رضي الله عنه: «حب الجليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل والاستعداد للرحيل».

وقال: «من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه».

وسئل عن السفلة فقال: «من لا يعرفون الطريق إلى الله تعالى ولا يتعرفونه».

وقال: «لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعامًا».

سعيد المغربي (توفي سنة ٣٧٣هـ): هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي واحد زمانه، صحب ابن الكاتب وحبيب المغربي وأبا عمرو الزجاجي وغيرهم. مات بنيسابور، وأوصى بأن يصلي عليه أبو بكر بن فورك.

ومن كلامه رضي الله عنه: «التقوى هي الوقوف على الحدود، لا يقصر فيها ولا يتعداها».

وقال: «من ءاثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله تعالى بموت القلب».

عسكر النخشبي (توفي سنة ٢٤٥هـ): هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي صحب حاتمًا الأصم، وأبا حاتم العطار المصري.

ومن كلامه رضي الله عنه: «الفقير قوته ما وجده، ولباسه ما ستره، ومسكنه حيث نزل».

وقال: «إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة العمل».

جعفر بن نصر (٢٥٣ ـ ٣٤٨هـ): هو أبو محمد جعفر بن محمد بن نصر ولد ونشأ في بغداد، صحب الجنيد، وانتمى إليه، وصحب النوري ورويما وسمنون وغيرهم، ومات ببغداد.

ومن كلامه رضي الله عنه: «إنما بين العبد والوجود أن تسكن التقوى قلبه، فإذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم وزالت عنه رغبة الدنيا».

إبراهيم النصر ءاباذي (توفي سنة ٣٦٩هـ): هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر ءاباذي شيخ خراسان في وقته صحب دلف الشبلي وأبا علي الروذباري والمرتعش وجاور بمكة المكرمة حرسها الله تعالى، وكان عالمًا بالحديث كثير الرواية.

ومن كلامه رضي الله عنه: «اعلم أن الأمر والنهي باق، والتحليل والتحريم مخاطبون به، ولن يجترئ على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات».

إسحاق النهرجوري (توفي سنة ٣٣٠هـ): هو أبو يعقوب

إسحاق بن محمد النهرجوري (والنهرجور قرية قرب الأهواز) صحب أبا عمرو المكي وأبا يعقوب السوسي والجنيد وغيرهم، مات بمكة مجاورًا.

ومن كلامه رضي الله عنه: «الدنيا بحر، والآخرة ساحل، والمركب هو التقوى، والناس سفر»، وقال: «أفضل الأحوال ما قارن العلم».

أحمد النوري (توفي سنة ٢٩٥هـ): هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، ولد ونشأ في بغداد، صحب سري السقطي وابن أبي الحواري وكان من أقران الجنيد رحمه الله، وكان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان.

ومن كلامه رضي الله عنه: «أعز الأشياء في زماننا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة».

وقال: «من رأيته يدّعي مع الله تعالى حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربنّ منه».

محمد الواسطي (توفي سنة ٣٣١هـ): هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، خراساني الأصل من فرغانة، صحب الجنيد والنوري، كان عالمًا كبيرًا، وقد أقام بمرو.

ومن كلامه رضي الله عنه: «الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب».

محمد الوراق: هو أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذي أقام ببلخ وصحب أحمد بن خضرويه وغيره، له تصانيف في الرياضة.

من كلامه: «من أرضى الجوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامات».

شعيب بن حرب (توفي سنة ٢٩٧هـ): هو أبو صالح شعيب ابن حرب نزل المدائن واعتزل ثم خرج إلى مكة فنزل بها إلى أن مات بها، وكان قد بنى كوخًا على شط دجلة. وبلغ أحمد ابن حنبل زهده وورعه فقال عنه: «شعيب بن حرب حمل على نفسه في الورع»، سمع شعيب بن حرب من شعبة وسفيان الثوري وزهير بن معاوية وغيرهم.

من كلامه رضي الله عنه: «من أراد الدنيا فليتهيأ للذل».

وقال لرجل: «إذا دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر».

وقال: «لا تحقرن فلسًا تطيع الله في كسبه ليس الفلس يراد إنما الطاعة تراد».

هشيم بن بشير بن أبي خازم (توفي سنة ١٨٣هـ): هو أبو معاوية السلمي واسم أبي خازم القاسم بن دينار، كان يكتب الحديث وجالس أبو شيبة القاضي. وقال إبراهيم الحربي: «كان حفاظ الحديث أربعة هشيم شيخهم»، سمع الحديث من عمرو ابن دينار والزهري ويونس بن عبيد وأيوب السختياني وابن عون ومنصور بن زاذان وغيرهم.

أويس بن عامر: من التابعين، هو أويس بن عامر بن جَزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد. أدرك حياة النبي ﷺ ولكنه لم يلتقه، وقد ورد فيه أحاديث

صحيحة منها ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: «**إن خير التابعين أويسًا القرني**». كان بارًا بأمه متزودًا بالعمل الصالح، وقد ذكره الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء: «فمن الطبقة الأولى من التابعين سيد العباد وعلم الأصفياء الزهاد أويس بن عامر القرني بشَّر به النبي ﷺ وأوصى به».

ومن كلامه رضي الله عنه: «أن رجلاً مرَّ عليه فقال له: كيف أصبحت قال: أصبحت أحمد الله عز وجل، فقال: كيف الزمان عليك قال: كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي، وإن أمسى ظن أنه لا يصبح، فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار، يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحًا، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له في ماله فضة ولا ذهبا، وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقًا».

الربيع بن خثيم: من التابعين هو أبو يزيد الربيع بن خثيم رأى عبد الله بن مسعود وأسند عنه وكان عبد الله يقول للربيع بن خثيم: لو رءاك رسول الله لأحبك، قالت له ابنته مرة: يا أبتاه مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام فقال لها: جهنم لا تدعني أنام.

من كلامه رضي الله عنه: «أما بعد فأد زادك وخذ في جهازك وكن وصي نفسك»، وقال: «كل ما لا يُبتغى به وجه الله يضمحل»، وقال مرة لأصحابه: «الداء الذنوب والدواء الاستغفار والشفاء أن تتوب فلا تعود».

وقيل له مرة كيف أصبحت يا أبا يزيد قال: «أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل رزقنا وننظر ءاجالنا».

سليمان بن مهران الأعمش (٥٨ ـ ١٤٧هـ): هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش مولى لبني كاهل، وأدرك جماعة من الصحابة وعاصرهم ورأى أنس بن مالك وكان يحيى بن القطان إذا ذكر الأعمش قال: «كان من النساك» وعن عيسى بن يونس قال: «ما رأينا في زماننا مثل الأعمش، ما رأيت الأغنياء والسلاطين في مجلس أحد أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم».

مسعر بن كدام بن ظهير (توفي سنة ١٥٥هـ): هو أبو سلمة مسعر بن كدام بن ظهير أسند عن أعلام التابعين، وتوفي بالكوفة، وعن ابنه محمد بن مسعر قال كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرءان، فإذا فرغ من ورده لف رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثب كالرجل الذي قد ضل شيئًا فهو يطلبه فإنما هو السواك والطهور، ثم يستقبل المحراب كذلك إلى الفجر، وكان يجهد في إخفاء ذلك جيدًا.

وعن سفيان الثوري قال: لم يكن في زماننا مثله (يعني) مسعرًا ومن شعره:

ألا قد فسد الدهر فأضحى حلوه مرا
وقد جربت من أهوى فقد أنكرتهم طرا
فألزم نفسك اليأس من الناس تعش حرا

ويقول أيضًا:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها   لا خير في لذة من بعدها النار

محمد بن صبيح بن السماك (توفي سنة ١٨٣ هـ): هو أبو العباس محمد بن صبيح بن السماك، كوفي قدم بغداد فمكث بها مدة ثم عاد إلى الكوفة فتوفي فيها، وكان الخليفة هارون الرشيد يختلف إليه وابن السماك يعظه حتى يبكي هارون، أسند عن الأعمش وهشام بن عروة وغيرهم وروى عنه يحيى بن يحيى النيسابوري وأحمد بن حنبل وغيرهم.

من كلامه رضي الله عنه: «من امتطى العبر قوي على العبادة، ومن أجمع اليأس استغنى عن الناس، ومن أحب الخير وفق له، ومن كره الشر جنبه، ومن رضي الدنيا من الآخرة فقد أخطأ حظ نفسه».

وقال: «من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها، جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها».

عامر بن عبد الله: هو أبو عمرو وقيل أبو عبد الله من بني تميم وهو الذي يقال له ابن عبد قيس، أدرك عمر بن الخطاب لكنه اشتغل بالعبادة عن الرواية وكان كعب يقول عنه هذا راهب الأمة. وكان مشهورًا بالزهد والورع، وهو الذي مر بقافلة قد حبسهم الأسد على طريقهم فنزل عن دابته فقالوا له: إنا نخاف عليك الأسد، فقال: إنما هو كلب من كلاب الله عز وجل إن شاء أن يسلطه سلطه، وإن شاء أن يكفه كفه فمشى إليه حتى أخذ بيديه أذني الأسد فنحاه عن الطريق وقال: إني لأستحي من ربي تبارك وتعالى أن يرى في قلبي أني أخاف غيره.

ومن كلامه: «إني أحببت الله عز وجل حبًّا سهل عليّ كل مصيبة ورضاني كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيته».

وقال لأبي المتوكل الناجي: «عليك بما يرغبك في الآخرة ويزهدك في الدنيا ويقربك إلى الله عز وجل، فقال أبو المتوكل: ما هو فقال: تقصر عن الدنيا همك، وتشحذ إلى الآخرة نيتك، وتصدق ذلك بفعلك، فإذا كنت كذلك لم يكن شيء أحب إليك من الموت ولا شيء أبغض إليك من الحياة».

الرفيع الرياحي (توفي سنة ٩٠هـ): هو أبو العالية الرياحي أعتقته امرأة بني رياح، أسند عن أبي بكر وعمر وعلي وأبيّ بن كعب وأبي موسى وأبي هريرة وابن عباس في جماعة من الصحابة، وكان إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام ومن كلامه: «كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام فأول ما أتفقده من أمره صلاته، فإن وجدته يقيمها ويتمها أقمت وسمعت منه، وإن وجدته يضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلت هو لغير الصلاة أضيع».

وقال: «قال لي أصحاب محمد ﷺ: «لا تعمل لغير الله فيكلك الله عز وجل إلى ما عملت له»».

هرم بن حيان العبدي: كان عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعن الحسن قال: «مات هرم بن حيان في يوم صائف شديد الحر، فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على قبره فلم تكن أطول منه ولا أقصر فرشته حتى روته ثم انصرفت».

وعن قتادة قال: «أمطر قبر هرم بن حيان من يومه وأنبت العشب من يومه».

ومن كلامه: «ما رأيت كالنار نام هاربها، ولا كالجنة نام طالبها».

وقال: «ما ءاثر الدنيا على الآخرة حكيم».

مطرف بن عبد الله بن الشخير (توفي سنة ٨٧هـ): هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير، وكان يسكن البادية. أسند عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبيّ بن كعب وغيرهم، وتوفي في زمن الحجاج بعد الطاعون الجارف.

وعن سليمان بن المغيرة قال: «كان مطرف بن عبد الله إذا دخل بيته سبّحت معه ءانية بيته».

وعن ثابت بن مطرف أن أباه أقبل من البادية فجعل يسير بالليل فأضاء له سوطه.

ومن كلامه: «إن هذا الموت أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه.

وقال: «إن أقبح ما طلب به الدنيا عمل الآخرة». (أي الرياء)

وقال مرة لبعض إخوانه: «يا فلان إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني فيها ولكن أكتبها في رقعة ثم أرفعها إليّ، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال».

صفوان بن محرز المازني: من التابعين من بني تميم، أسند عن ابن عمر وأبي موسى الأشعري وعمران بن حصين وحكيم ابن حزام في ءاخرين، وتوفي في البصرة، وكان يجتمع مع إخوانه فيقولون: يا صفوان حدث أصحابك فيقول: الحمد لله فيرق القوم وتسيل دموعهم.

من كلامه: «إذا أكلت رغيفًا أشد به صلبي، وشربت كوز ماء فعلى الدنيا وأهلها العفاء».

مالك بن دينار (١٣٠هـ): هو أبو يحيى مالك بن دينار، مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي وكان يكتب المصاحف، أسند مالك عن أنس بن مالك وعن جماعة من التابعين كالحسن وابن سيرين.

من كلامه: «ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى».

وقال: «لا تجعلوا بطونكم جربًا للشيطان يوعي فيها إبليس ما شاء».

وقال: «لقد هممت أن ءامر إذا مت أن أُغلَّ فأُدفع إلى ربي مغلولا كما يُدفع الآبق إلى مولاه».

وقال: «منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم ولم أكره مذمتهم قيل: ولم ذاك؟ قال: لأن حامدهم مفرط وذامهم مفرط».

وقال: «عجبًا ممن يعلم أن الموت مصيره والقبر مورده كيف تقر بالدنيا عينه وكيف يطيب بها عيشه».

وقال: «كان الأبرار يتواصون: بسجن اللسان وكثرة الاستغفار والعزلة».

وقال: «إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن البيت إذا لم يسكن خرب».

وقال: «أخذ السبع صبيًا لامرأة فتصدقت بلقمة فألقاه فنوديت لقمة بلقمة».

وقال: إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر، فخذوا لمقركم من مفركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم، إنما مثل الدنيا كالسم، أكله من لا يعرفه واجتنبه من يعرفه، مثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل، يحذرها ذوو العقول، ويهوى إليها الصبيان بأيديهم».

وقيل لمالك بن دينار: «لا تستسقي؟ فقال: أنتم تستبطئون المطر لكني استبطئ الحجارة.

وقيل: دخل اللصوص إلى بيت مالك بن دينار فلم يجدوا في البيت شيئًا فأرادوا الخروج من داره فقال مالك: ما عليكم لو صليتم ركعتين.

الفهرس العام



التَشرُّف بذِكر أهل

التصوف

كتاب نافع يشتمل على:

- التعريف بالتصوف.
- ذكر حال أهل التصوف الصادقين من تقوى وزهد وورع.
- توضيح اصطلاحات الصوفية ومعارفهم ومشاربهم.
- بيان اعتقاد أهل التصوف وأنه موافق للكتاب والسنة.
- كشف حال مدعي التصوف الكاذبين والرد عليهم وعلى معتقداتهم الفاسدة من حلول وإلحاد.
- نبذة عن الأقطاب الأربعة وغيرهم من الأولياء وبيان معنى الكرامة.
- ترجمة لبعض مشاهير الصوفية العارفين.
- مواعظ صوفية.

بيروت. لبنان. ص.ب: ١٤-٥٢٨٣ تلفاكس: ٦٤٦٧٠٩

ISBN 995320078-5

